صفحات من تاريخ التقارب

بين الدعاة والحكام

مواقف العلماء أمام الحكام والولاة

للدكتور

عبد الرحمن عميرة

الناشر

دار العلم والثقافة

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (41) ﴾

[الحج : ٤١]

الحاكم فى منهج الإسلام

الحاكم فى الإسلام رجل يؤمن بالله، ويغرس الإيمان فى المجتمع هذا الحاكم: يؤمن بأن الإسلام عقيدة فى القلب، وقانون فى الحكم ، وقواعد فى الأخلاق، ونظام فى المجتمع، ورباط بين أتباعه .

والمجتمع فى الإسلام لا تفترق فيه السياسة عن الصلاة، ولا العمل عن العبادة.

مجتمع تتحول فيه الدنيا من غابة الشهوات، إلى واحة العباد، ومن صراع الشياطين إلى تعاطف المؤمنين.

مجتمع يتزيأ بكسوة الجندية فهو دائماً فى حرب، أو على أهبة حرب ، حتى لا تحتل بلاده أو يزل أتباعه.

إن حكام المسلمين يجب أن يكونوا من الـرجـال الأقـوياء أقـوياء فى أرواحهم فـلا تغـرهـم الدنيـا، ولا يحرصـون على حطامها الفانى.

أقوياء فى عـقولهم حتى لا يلـقوا ببلادهم ومـصائرهم فى قبضـة الأعداء ، نتيجة لطفرة فى الرأى أو عـجالة فى إصدار الأحكام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سؤل يطرحه اللبيب الفطن على نفسه، لماذا لا ينتصر الإسلام اليوم كما كان ينتصر بالأمس ؟

ولماذا لا يقوم أتباعه بدور الريادة والقيادة فى العالم كما فعل أجدادهم وآباؤهم عند ظهوره ؟

أهناك شيء طرأ عليه فغير مفاهيمه فلم تعد تعمل ؟ أو انتقص من أركانه فلم يعد يتقدم ؟

الله يعلم أن شيئًا من ذلك لم يكن، فكتابه الذى بين أيدينا الآن هو كتابه من يوم أن أنزله الله على الرسول ﷺ.

وإذا كان ذلك كذلك فما العلة فى ضعف المسلمين وابتعادهم عن دور القيادة ومراكز التوجيه ؟

وللإجابة على ذلك نقول:

إن الراصد لحركات المسلمين من عدة قرون يرى أن الكثير منهم قد تفلت من تعاليم دينه، وابتعد عن هدى نبيه وترك نور إسلامه، فلفهم ظلام شامل لا يدرى أحد كيف الخروج منه أو الخلاص من ثقله .

فالذى ينقص الإسلام الآن هم الرجال.. الرجال الذين يؤمنون به

كعقيدة تحكم تصرفاتهم، وتضبط سلوكياتهم، ويحكمونه فى شئونهم الخاصة والعامة ويجعلونه دستور الدساتير فى شرعهم، ومصدر القوانين فى حكمهم.

لو وجد هؤلاء الرجال لأعادوا للإسلام مجده وللمسلمين عزهم وسلطانهم.. ولكن أين هؤلاء الرجال ؟ رجال الإسلام..؟

ونتساءل لقد كان رجال الإسلام يملؤن الساحة، فلماذا فرغت منهم، وكان صوتهم يدوِّى فى جنبات الأرض، فلماذا لم يعد العالم يسمع لهم صوتًا، أو يرى لهم فعلاً ؟

الحقيقة التى لا ينكرها أحد من المنصفين والراصدين لخطوات التاريخ فى عصرنا الراهن، أن الدعاة للحركات الإسلامية فى كثير من البلاد نزل بهم من البلاء ما لو نزل بالجبال الشم لدكت أركانه وتساقط بنيانه.

ونقول: هذا الذى حدث فى هذا العصر، حدث لكل الدعاة السابقين فى كل عصر ومصر، ولم يسلم من ذلك الرسل والأنبياء ولا المخلصون وأصحاب الدعوات.. وكأن هذا ضريبة الإيمان، أو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل هؤلاء الجبارين والطغاة أداة تعذيبٍ وتنكيل لأتباع دينه والمخلصين من أبناء الإنسانية لحكمة قد تغيب عن عقولنا، أو ليختبر صبرهم ويبلو إيمانهم حتى يتميز من يدعى الإيمان بلسانه، ومن هو على الحق واليقين بقلبه.

قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم

مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة: ٢١٤]

نعم إن النصر فى النهاية يكون للمؤمنين وللعباد المخلصين، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

ونقول: إن حوارًا دائمًا، بل صراعًا مستمرًا ظل بين العالم والحاكم، ما كان هناك علماء وحكماء، وهذا الصراع أو الحوار يكون ذا فائدة للأمة إذا أطاع الحاكم العالم، ويكون الحوار ساخنًا مدمرًا إذا خالف الحاكم العالم.

وفى الحالة الثالثة يكون الدمار للأمة ومعنوياتها إذا ما خضع العالم لتوجيهات الحاكم، فغض الطرف وأغمض العين، أو استطاع الحاكم أن يحتوى العالم أو يقنعه بسياسيته للحكم والدولة.

ونحن فى هذا الكتاب نقدم صورًا للحالات الثلاث، عبر تاريخ الأمة الإسلامية. لنأخذ من ذلك العبر والعظات، ونضع أيدينا على عوامل تخلف الأمة وانهزامها فكريًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، وحربيًا، وفى شتى المجالات الأخرى.

وبالله التوفيق ،،،

أ.د. عبدالرحمن عميرة

من هدى النبوة
العالم والحاكم
وطريق الدعوة إلى الله

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن صهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ قال:

قد كان فيمن قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إنى كبر سنى، وحضر أجلى فادفع إلىَّ غلامًا لأعلمه السحر .

فدفع إليه غلامًا - فيه نجابه وذكاء - ليعلمه السحر وكان بين الساحر، وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه كلامه.

وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك..؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك..؟

فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر.

قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يمروا.

فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر.

قال: فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمر الناس. ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب فقال:

« أى بنى أنت أفضل منى وأنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علىَّ. فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص، وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفنى ولك ما ههنا أجمع..؟؟

فقال: ما أنا أشفى أحداً إنما يشفى الله عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه.

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك:

« يا فلان من رد عليك بصرك.. ؟ »

فقال: ربى.

فقال: أنا.

قال: لا ، ربى وربك الله.

قال: ولك رب غيرى ؟

قال: نعم.. ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه.

فقال: أى بنى من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الأدواء .. ؟؟

قال: ما أشفى أحدًا، إنما يشفى الله عز وجل.

قال: أنا.

قال: لا.

قال: أولك رب غيرى.. ؟؟

قال: ربى وربك الله، فأخذه أيضًا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال ارجع عن دينك فأبى.. فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض.

وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال:

« اللهم اكفينيهم بما شئت »

فرجف بهم الجبل فدهدهو أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك.. ؟

فقال: كفانيهم الله تعالى. فبعث به مع نفر فى قرقور فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه فى البحر. فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم أكفينيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك.. ؟

فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت
تستطيع قتلى.

قال: وما هو.. ؟

قال: تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتى، ثم قل: باسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ففعل ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال:

« باسم الله رب الغلام، فوقع السهم فى صدعه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام.

فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر..؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم.. فأمر بأفواه السكك، فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقتحموه فيها.

قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع فى النار فقال الصبى:

« اصبرى يا أماه فإنك على الحق ». (١)

وإلى هذا أشار الله بقوله تعالى:

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) ﴾(٢)

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم وأحمد بن حنبل فى المسند وأخرجه الترمذى بمعناه .

(٢) سورة البروج الآيات من ٤ إلى ٩ .

إن هذا الغـلام الداعيـة عرف الأسلوب الطـبيـعى الذى به تنتشـر دعوته وتصل عن طريقه بإذن الله - إلى دنيا الناس.

فـأخذ يظهـر آيات الله البـينات التى يجـريهـا على يديه ويطالب المجتمع الذى يعيش فيه الإيمان بها.

ووصلت إلى مسامع الملك الذى يدعى الألوهية - دعوة الغلام وأن الناس يتابعونه فيما يدعوهم إليه وألقت حاشيته والمحيطون به فى روع الملك أن قوائم ملكه تهـتز من تحته نتـيجه لهذا الذى يقـول به الغلام ويبشر به..؟

فكان لابد من التنكيل به حـفاظًا على الملك - مـرة بمحاولة ترديه من فوق جبل مرتفع وأخرى بمحـاولة إزهاق روحه عن طريق البحر، ولقد باءت هذه المحاولات بالفشل، وهكذا كل محاولة يدبرها الباطل أو يوسوس بها الشيطان.

عندها أراد الغلام أن تبلغ دعوته إلى الناس أجمعين، ورأى أنه لن يتحـقق ذلك إلا عن طريق الملك وجنوده، فطلب من المـلك: إن كان يريد القضاء عليه وتخليص مملكتـه منه، فما عليه إلا أن يجمع الناس فى صعيد واحد حتى يشاهدوا قتل الغلام.

وكان الداعية يريد بذلك أن تبلغ دعـوته للناس أجمعين ويشاهدوا عن قرب يد القدرة الخالقـة وهى تعمل حتى ولو كان فى ذلك إزهاق روحه وبلوغ أجله. والداعية يعلم أن لكل أجل كتاب قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾[١]

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥ .

واستطاع الغلام الداعية عن طريق أعداء الله وأعداء دينه أن يبلّغ رسالة ربه، ثم يموت قرير العين مطمئن إلى عدالة ربه.

وهكذا يجب أن يكون الدعاة الذين يحبون عقيدتهم، ويريدون نشر دعوتهم ورفع كلمة الله بين عُبَّاد الطواغيت وسدنة الأصنام.

وإذا كان هذا حدث مع الدعاة قبل الإسلام، فإن دعاة الإسلام نالوا من التعذيب والتنكيل أضعاف ما نال غيرهم من أتباع الديانات والدعوات الأخرى.

ونكتفى فى هذا المقام بتسجيل المحاورة التى تمت بين التابعى سعيد ابن جبير وأحد قادة بنى أمية الحجاج بن يوسف.

الحجاج الثقفى وسعيد بن جبير
(رضى الله عنه)

صمم الحجاج[1] على قتل سعيد بن جبير[2] لكشفه الطغاة وتعريته

(١) هو الحجاج بن يوسف، قائد داهية، سفاك خطيب ولد عام ٤٠ هـ قلده عبد الملك ابن مروان قيادة الجيش وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فقتله فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليه العراق وأخباره كثيرة مات بواسط عام ٩٥ هـ [راجع تهذيب التهذيب لابن عساكر ٤ : ٨٤]

(٢) هو سعيد بن جبير أبو عبد الله تابعى كان أعلمهم على الإطلاق. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر - رضى الله عنهما - ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث لحرب عبد الملك بن مروان كان سعيد معه. فلما انهزم عبد الرحمن قبض عليه الحجاج وقتله عام ٩٥ [راجع وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤ وطبقات ابن سعد ٦ : ١٧٨]

أتباع الشيطان فأرسل إليه من أحضـره فلما مثل بين يديه سأله الحجاج عن اسمه.

قال: سعيد بن جبير.

قال الحجاج: بل أنت شقى بن كسير.

قال سعيد: بل كانت أمى أعلم باسمى منك.

قال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك.

قال سعيد: الغيب يعلمه الله.

قال الحجاج: لأ بدلنك بالدنيا ناراً تلظى.

قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا.

قال الحجاج: فما قولك فى محمد..؟

قال: نبى الرحمة وإمام الهدى صلى الله عليه وسلم.

قال الحجاج: فما بالك لم تضحك..؟

قـال سـعـيد: وكـيـف يضـحك مـخلوك من طـين والطين تأكله النار ..؟

قال الحجاج: فما لنا نضحك..؟

قال سعيد: لم تستو القلوب.

وفكر الحجـاج بطريقة أخرى لاستـمالته وإذلاله.. فـأمر بالذهب والمال واللؤلؤ والياقوت فجمع بين يديه.

ولكن أنى لهذه المغريات أن تجد لها طريقًا إلى قلب شغله حب الله وزهد عن الدنيا وما فيها.

فقال سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فقد أخطأت وإن فزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير فى شىء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا . فأمر الحجاج بالموسيقى فصدحت ونفخ فى الناى، وضرب بالعود، فبكى سعيد فقال له الحجاج: ما يبكيك . . أهو اللهو . . ؟

قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فذكرنى يومًا عظيمًا: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾[1] وأما العود فشجرة قطعت فى غير حق، وأما الأوتار فإنها أمعاء الشياه يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد.

فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أى قتلة تريد أن أقتلك.

قال سعيد: بل اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة.

قال الحجاج: أفتريد أن أعفو عنك . . ؟

قال سعيد: إن كان العفو فمن الله . . وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرجوا به من الباب ضحك فأخذ الحجاج بذلك فأمر برده وقال له:

---

(١) سورة النبأ آية ١٨

ما أضحكك..؟

قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك.

قال الحجاج: اقتلوه.

قال سعيد: ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1]

قال الحجاج: شدوا به لغير القبلة.

قال سعيد: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[2]

قال الحجاج: كبوه لوجهه.

قال سعيد: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[3]

قال الحجاج: اذبحوه..؟

قال سعيد: أما أنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة.

ثم دعا سعيد الله قائلاً:

« اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى »

يقول الرواة وكتاب التاريخ

عاش الحجاج بعده خمس عشر ليلة ثم مات.

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٩

(٢) سورة البقرة آية رقم ١١٥

(٣) سورة طه آية ٥٥

فهل لدينا دعـاة فى القرن العشـرين أمثال هؤلاء. . ؟ إن كـان فإن نصر الله قريب، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وإذا كانت الأخـرى. . فعلى عاتق علمـاء المسلمين والمخلصين من أبنائه: أن يعدو العدة لتخريج هؤلاء الرجال. . من مدرسة القرآن فهل نحن فاعلون. . ؟

نرجو من الله ذلك. .

سماحة حاكم
وتعفف عالم

كان أبو بكر المحلى يتولى نفقات أبى المسك كافور[1] الأخشيدى حاكم مصر. وكان له فى كل عيد أضحى عادة هى أن يسلم إلى أبى بكر بغلاً محملاً ذهبًا وصحيفة تتضمن أسماء قوم - يرى أنهم فى حاجة إلى المساعدة المادية من قبل الدولة.

يقول أبو بكر: وكان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل، حتى أسلم ذلك إلى من تضمنت إسمه الصحيفة، فأطرق منزل كل إنسان ما بين

(١) كافور بن عبد الله الأخشيدى أبو الملك الأمير المشهور ، صاحب المتنبى . كان عبدًا اشتراه الأخشيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ وكان فطنًا ذكيًا حسن السياسة أخباره كثيرة . تولى إمارة مصر مدة عشرين عامًا قام فى أكثرها بتدبير المملكة فى ولاية أبى القاسم ثم أبى الحسين ابنى الأخشيدى وتولاه مستقلاً سنتين وأربعة شهور وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام توفى بالقاهرة عام ٣٥٧ هـ ودفن بالقدس . وكان وزيره ابن الفرات قال الذهبى كان عجبًا فى العقل والشجاعة . [راجع دول الإسلام ١ : ١٧٣]

رجل وامـرأة وأقول : الأسـتاذ أبو المسك كـافور الأخـشيـدى يهنئك بالعيد ويقول لك: اصرف هذا في منفـعتك، وادفع إليه ما جعل له، وفى آخر وقت زاد كـافور فى الصحيـفة اسم الشيخ أبى عـبدالله بن جابار[1]، وجعل له في ذلك العيـد مائة دينار، فطفت في تلك الليلة وأنفـقت المال فى أربابه ولـم تبق إلا صرة ابن جـابار، فجـعلتهـا فى كـمى، وسرت مع النقـيب، حتى أتينا مـنزله بظاهر القرافـة فطرقت الباب فنزل إلينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت عليه، فلم يرد علىَّ.

وقال: ما حاجتك . . ؟

قلت: الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام.

فقال: والى بلدنا . . ؟

قلت: نعم.

قـال: حــفظه الله، الله يـعلم أنى أدعـو له فـى الخلوات وأدبار الصلوات بما الله سامعه ومستجيبه.

قلت: وقـد أنفذ معـى نفقة وهـى هذه الصرة، ويسـألك قبـولها لتصرف فى مثونة هذا العيد المبارك.

فقال: نحن رعـيته. ونحبـه فى الله تعالى، وما نفســد هذه المحبة بعلة.

فراجعته القول فتبين لى الضجر فى وجهه والقلق، واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه من عبادة فتركته وانصرفت.

قال: فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب، وهو ينتظرنى، فلما رآنى.

قال: إيه يا أبا بكر.

قلت: أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك فى هذه الليلة وفى اليوم الشريف.

فقال: الحمد لله الذى جعلنى لإيصال الراحة إلى عباده. ثم أخبرته بامتناع ابن جابار.

فقال: نعم هو جدير لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم.

ثم قال لى: عد إليه واركب دابة من دواب النوبة واطرق بابه، فإذا نزل إليك فإنه سيقول لك:

ألم تكن عندنا...؟ فلا ترد عليه جوابًا ثم استفتح واقرأ: ﴿ طه ① **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ④ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ⑤ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ⑥** ﴾[1]

يا بن جابار. الأستاذ كافور يقول لك:

« ومن كافور العبد الأسود... ومن هو مولاه... ومن الخلق ...؟ ليس لأحد مع الله ملك ولا شركة تلاشى الناس كلهم ههنا ».

أتدرى من هو معطيك ؟ وعلى من رددت... أنت ما سألت، وإنما هو أرسل إليك...؟ يا ابن جابار: أنت ما تفرق بين السبب والمسبب.

---

(١) سورة طه الآية ١ - ٦ .

قال أبو بكر: فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إلىَّ.

فقال لى مثل لفظ كافور: ألم تكن عندنا. . . ؟

فأضربت عن الجواب وقرأت طه، ثم قلت ما قال لى كافور، فبكى وقال لى: أين ما حملت. . . ؟ فأخرجت الصرة، فأخذها وقال: « علمنا الأستاذ كيف التصوف ».

قلت له: أحسن الله جزاءك ثم عدت إليه فأخبرته بذلك، فسرَّ وسجد شكرًا لله تعالى.

وقال: الحمد لله على ذلك[1].

حاكم المسلمين، وعالم المسلمين يتمذهبان بمذهب الإسلام ويتأدبان بأدب النبوة ويلتقيان على الخير العام، الخير العام للإسلام والمسلمين والخير العام للأسرة الإنسانية كلها.

حاكم لا يغفل عن الرعية، ولا ينسيه صولجان الحكم ضعف الضعيف أو حاجة المحتاج ، ويؤقت لعطيته ويرصد لها المناسبة السعيدة حتى تكون البسمة شاملة والفرحة عامة.

وعالم محتاج ولكنه لا يطلب، وتحمل إليه العطية فيرفض ، حتى يتحقق بها خالصة لوجه. إنهم عمالقة الإسلام ممن حققوا العبودية الخالصة لله.

(١) معركة المصحف للأستاذ / محمد الغزالى .

الخليفة هارون الرشيد[1]
والإمام سفيان الثورى

ذكر الإمام أبى حامد[2] الغزالى قال:

إن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثورى، فإنه لم يأت وكان بينهما صحبة، فشق ذلك عليه فكتب الرشيد إليه كتابًا قال فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم.. من عبدالله هارون أمير المؤمنين إلى

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور العباسى خامس خلفاء الدولة العباسية وأشهرهم ولد بالرى عام ١٤٩ هـ ونشأ فى دار الخلافة فى بغداد وولاه أبوه غزو الروم. فصالحته الملكة وافتدت مملكتها بسبعين ألف دينار وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادى سنة ١٧٠ هـ كان يحج سنة ويغزو الأعداء سنة استمر فى الخلافة ٢٣ سنة توفى عام ١٩٣ هـ .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى أبو حامد ، حجة الإسلام له نحو مئتى مصنف مولده عام ٤٥٠ بخراسان رحل إلى الحجاز والشام ومصر ثم عاد إلى بلده ، من كتبه: إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة . والمنقذ من الضلال وغير ذلك كثير توفى عام ٥٠٥ هـ [راجع وفيات الأعيان ١ : ٤٦٣ وشذرات الذهب ٤ : ١٠]

أخيه فى الله سفيان بن سعيد الثورى. أما بعد:

يا أخى فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين، وقد آخيتك فى الله مؤاخاة لم أحرم فيها حبك ولم أقطع منها ودك.

وإنى منطو لك على أفضل المحبة، وأتم الإرادة.

ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبواً، لما أجد لك فى قلبى من المحبة..

وإنه لم يبق أحد من إخوانى وإخوانك إلا زارنى، وهنأنى بما صرت إليه.

وقد فتحت بيوت المال، وأعطيتهم من المواهب السنية ما فرحت به نفسى، وقرت به عينى.

وقد استبطأتك..؟؟

وقد كتبت كتاباً منى إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك.

وقد علمت يا أبا عبدالله ما جاء فى فضل زيارة المؤمن، ومواصلته.

فإذا ورد عليك كتابى هذا فالعجل العجل.

ثم اعطى الكتاب لعباد الطالقانى، وأمره بإيصاله إليه، وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به.

قال عباد: فانطلقت إلى الكوفة.

فوجدت سفيان فى مسجده، فلما رآنى على بعد قام وقال:

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ».

قال: فنزلت من فرسى بباب المسجد فقام سفيان[1] يصلى ولم يكن وقت صلاة..؟؟

فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلىَّ.

قال: فبقيت واقفًا، وما منهم أحد يعرض علىَّ الجلوس ..؟؟

وقد علتنى من هيبتهم الرعدة، فرميت الكتاب إليهم.

فلما رأى الكتاب سفيان ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم.

ثم أدخل يده فى كمه وأخذه بها وقلبه ورماه إلى من كل خلفه وقال:

ليقرأه بعضكم فإنى أستغفر الله أن أمس شيئًا مسه ظالم بيده ..؟؟

قال عباد: فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه ..؟؟

فجعل سفيان يتبسم تبسم المعجب.

فلما فرغ من قراءته قال سفيان:

اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره.

---

(١) سفيان الثورى : من قبيلة مضر أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ولد بالكوفة عام ٩٧ هـ طلب منه المنصور العباسى تولى الحكم فأبى وخرج من الكوفة عام ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدى فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيًا . له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث .
[راجع ابن النديم : ١ : ٢٢٥ وابن خلكان ١ : ٢١٠]

فقيل له: يا أبا عبدالله: إنه خليفة. . فلو كتبت إليه فى بياض نقى لكان أحسن.

فقال: اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه. فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به.

ولا يبقى شىء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا.

فقيل له ما نكتب إليه. . ؟

قال اكتبوا له: بسم الله الرحمن الرحيم.

من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون. الذى سُلِبَ حلاوة الإيمان ولذة قرآة القرآن.

أما بعد:

فإنى كتبت إليك أعلمك أنى قد حرَّمت حبك، وقطعت ودك.

وإنك قد جعلتنى شاهدًا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه.

وأنفذته بغير حكمه.

ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى، حتى كتبت إلىَّ تشهدنى على نفسك. . ؟؟

فأما أنا فإنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدى الشهادة غدًا بين يدى الله الحكم العدل. . ؟؟

يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم. . ؟؟

هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها فى أرض الله

والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل. . ؟

أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم. . ؟

أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل. . ؟

أم رضى بذلك خلق من رعيتك. . ؟

فشد يا هارون مئزرك ، وأعد للمسألة جوابًا ، وللبلاء جلبابًا.

واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل.

فاتق الله فى نفسك إذ سُلبت حلاوة العلم والزهد ، ولذة قراءة القرآن ، ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالمًا وللظالمين إمامًا . . ؟؟

يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير. . ؟؟

يا هارون أسبلت ستورًا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين . .

ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك.

يظلمون الناس ولا ينصفون.

ويشربون الخمر ويحدون الشارب.

ويزنون ويحدون الزانى.

ويسرقون ويقطعون يد السارق.

ويقتلون ويقتلون القاتل.

أفلا كانت الأحكام هذه عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس . . ؟

فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى:

« احشروا الظلمة وأعوانهم »

فتقدمت بين يدى الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك.

والظلمون: حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾[١] وكأنى بك يا هارون، وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك..؟؟

وسيئات غيرك فى ميزانك..؟؟

بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة.

فاتق الله يا هارون فى رعيتك، واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم - فى أمته.

واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك.

وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزوده زاداً نفعه.

ومنهم من خسر دنياه وآخرته.

وإياك ثم إياك أن تكتب إلىَّ بعد هذا فإنى لا أجيبك والسلام.

وألقى الكتاب منشوراً من غير طى ولا ختم.

---

(١) سورة طه الآيات رقم ١٢٤ - ١٢٦

فأخــذه عباد. ثم أوصله إلى أميــر المؤمنين هارون الرشيد. فــأقبل يقرؤه، ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق.؟؟

فقال بعض جلسائه:

يا أمير المؤمــنين قد اجترأ عليك سفــيان، فلو وجهت إليه فــأثقلته بالحديد وضيقت عليه بالسجن فجعلته عبرة لغيره.

فقال هارون: اتركوا سفيان وشأنه.

يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه.

والشقى والله حقًا من جالستموه.

إن سفيان أمة وحده.

يقول راوى الخبر: ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكى حتى توفى رحمه الله.

ونقول: العلماء ورثة الأنبياء وعليهم أن يبينوا للناس أمور دينهم ، وصلاح دنياهم وأخراهم حتى يكونوا ممن عناهم الله بقوله تعالى:

﴿ يَـٰـأَيُّهَـا الَّذينَ آمَنُوا إِن تُطِيـعُـوا فَـرِيقًـا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾[1]

فإن لم يفــعلوا ذلك تلاشت عنهم الخيرية الــتى امتن الله بها على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُـونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) ﴾[2]

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٠٠ (٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٩

وقوله تعالى أيضًا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ﴾[1]

ولا شك أن العالم الجليل سفيان الثورى قد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وبين ووضح شرع الله. فجزاه الله خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته.

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٤

سعيد بن المسيب
والخليفة عبد الملك بن مروان

كان سعيد بن المسيب[1] إماما ثقة، ومن أوسع التابعين علمًا، وأعرفهم بالحلال والحرام، وأعلمهم بقضايا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وأحكامه.

وكان من أزهد الناس فى فضول الدنيا، ومن أكثر الناس تأدبا مع حديث الرسول ﷺ.

جاءه رجل ـ وهو مريض ـ فسأله عن حديث فجلس وحدثه.

فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن. . ؟؟

فقال: كرهت أن أحدثك عن رسول الله وأنا مضطجع.

---

(١) هو سعيد بن المسيب أبو محمد ، سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاءًا توفى بالمدينة عام ٩٤ هـ .

[راجع الوفيات ١ : ٤٠٦ وحليه الأولياء ٢ : ١٦١]

ويقول مولاه برد: ما نودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد فى انتظار الصلاة.

وكان سعيد يقول عن الدنيا ـ هى قبيحة، وتكون إلى كل قبيح أميل، وأقبح منها من أخذها من غير حقها، ووضعها فى غير موضعها من شرع الله.

وكان له مجلس علم ـ فى مسجد الرسول ـ ﷺ ـ يتزاحم طلاب العلم للجلوس فيه.

ويقولون إنه قريب من عهد النبوة، وكان سعيد يعرف طلابه على كثرتهم، ويحفظ أسماءهم.

وفى يوم من الأيام، وسعيد منهمك فى درسه ـ وقف على رأسه أحد رجالات الحكم من بنى أمية ـ وهمس فى أذنيه ـ إننى أريد محادثتك فى أمر هام وأنا رسول الخليفة عبد الملك بن[1] مروان إليك، ولقد جئتك بعز الدنيا والآخرة.

ولكن الرجل الربانى أراد أن يصرف الرسول بهدوء قائلا: سأستمع لحديثك بعد أن أنهى الدرس مع طلاب العلم.

ولكن الرسول ألح فى الحديث معه ليصرفه عن دروسه.

فما كان من سعيد إلا انصرف عنه إلى طلابه.

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الوليد من دهاة الخلفاء ولد عام ٢٦ هـ ونشأ فى المدينة . فقيهًا واسع العلم متعبدًا ناسكًا انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه عام ٦٥ هـ فضبط أمورها وأظهر التقوى ، اجتمعت عليه كلمة المسلمين . أول من صك الدنانير فى الإسلام . توفى فى دمشق عام ٨٦ هـ . [راجع ابن الأثير ٤ :١٩٨ والطبرى ٨ :٥٦] .

وما كاد سعيد ينتهى من درسه حـتى جاءه الرسول قائلا: يا سعيد يا ابن المسيب ألم أقل جئتك بعز الدنيا والآخرة..؟؟

قال سعيد: أما الدنيا فأنا فى طاعة الله وذلك هو العز الذى لا عز بعده، وأمـا الآخرة - فهى فى علم الغيب، ولا يدرى العـبد أهو إلى الجنة أم إلى النار ﴿**فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**﴾ [1] ثم تابع سعيد حديثه قائلا لرسول الخليفة تقول جئتك بعز الآخرة فهل فى مقدورك أن تدخلنى الجنة.

قال الرسول: لا ليس ذلك فى استطاعتى..؟؟

قال سعيد: هل فى مقدور خليفتنا عبد الملك بن مروان أن يحول بينى وبين الدخول إلى النار..؟

قال الرسول: لا.

عندها غضب الرسول - وقال: يا سعيد خذ ما جئت به إليك.

قال سعيد: هاته.

قال الرسـول: إن الخليفـة رغب فى مصاهرتك فـأرسلنى لأخطب ابنتك لأبن الخليفة والذى جده خليفة.

وسيكون هو الخليفة بعد أبيه. أليس فى ذلك عز ما بعده عز..؟

فـإن وافقت: كـيلنا لك الذهب والفـضـة وآتتك الدنيـا راغمـة - وفرشت لك الأرض من دمشق حتى المدينة بما تحب وترضى.

وإن كانت الثانية. فأنت أعلم الناس بسياط بنى أمية..؟؟

---

(1) سورة الأعراف آية رقم ٩٩ ؟

قال سعيد: أبسط الأمور أن أستشير ابنتى فى ذلك كما أمرنا بذلك رسول الله ﷺ حيث قال:

« لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها..؟ قال: أن تسكت »[1].

قال الرسول: يا سعيد سنمهلك أياما معدودة..؟؟

وانصرف الرسول ليخبر الخليفة بما دار بينه وبين سعيد بن المسيب..؟

بعدها جلس سعيد مع نفسه ـ إن ابنته قطعة منه ـ ومحال أن تكون لإبن الخليفة. الخليفة الذى بغى وطغى وآثر الدنيا على الآخرة.

ومن يفعل ذلك لا شك أن يكون طعمة للنار يوم القيامة !!

وهو أرأف بإبنته أن تكون حطبا لجهنم ـ مهما تحمل فى سبيل ذلك من عذاب إن بنى أمية يهددونه بالسياط وبما هو أنكى من السياط ولكن سياطهم لن تنزك على جسد حى لأنه فرغ من دنياهم فهى إذن لا تؤلم. واستراح سعيد إلى هذه النتيجة. ولكن كيف..؟ لا كيف لأن التدبير لله تعالى، ومن لا يدبر وتوكل على خالقه دبر له.

وفى اليوم التالى جلس سعيد فى مجلسه الذى اعتاد أن يجلس فيه كل يوم لإلقاء درسه على طلاب العلم ولكن عينه افتقدت أحد طلابه النجباء وهو كثير بن أبى وداعة.

أين كثير بن أبى وداعة ؟ إن من عادته ألا يتغيب.. هل أصابه

---

(١) الحديث رواه البخارى فى النكاح ٤١ ومسلم فى النكاح ٦٤ والترمذى فى النكاح ١٨

مكروه ؟؟ أم مـاذا حل به ؟؟ وجـاءه الجـواب من جـاره ابن مندوه الخزاعى . . ؟

قال : سيـدى الشيخ لقد ماتت منـذ أيام زوجه فهو حزين عـليها، وقابع فى بيته لا يفارقه . . ؟؟

واستدل سعيد على بيت كثير . . ؟؟

وما كاد ينتهى من درسه حتى انطلق إلى هناك .

انطلق سعيد إلى بيت الطالب الفقير الورع الذى لا يجد قوت يومه إلا بصعوبة . . ؟؟ وطرق الباب ـ وخرج الطالب . . وأوشك أن يتوقف قلبـه من هول المفاجـأة سعيـد بن المسيـب مؤدب الخلفـاء والأمراء ـ ومرشدهم إلى الطريق الحق ـ طريق الله فى بيت ابن أبى وداعة .

وبعد أن واساه الشيخ وقدم له العزاء .

قال سعيد : يا ابن أبى وداعة : أترغب فى الزواج . . ؟

قال : ومن يزوجنى يا شيخى وأنا لا أملك حـمراء ولا صفراء من هذه الدنيا .

قال سعيد : سؤال محدد ألك رغبة فى الزواج . . ؟

قال الطالب : وهل يمكن أن يعيش الرجل بـغير زوجة . . ؟ إلا إذا اضطرته ظروف الحـياة وحـالت بينه وبين ما أمـر الله تعالى به بقـوله ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] .

عندها هم سعيد بالإنصراف وقال : إذن انتظرنى حتى آتيك . . ؟؟

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢١

ثم ماذا . .؟؟ ذهب سعيد إلى بيته والتقى بإبنته ـ ابنته التى حباها الله أخلاق المؤمنات العابدات . ومنحها جمال الحور العين ـ نعم الحور العين اللاتى وعد الله عباده المؤمنين بهم فى الجنة .

قال سعيد : يا ابنتى لقد اخترت لك زوجًا صالحًا تقيًا عارفًا بحدود الله متأدبًا فى عشرة النساء بما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه : « النساء ناقصات عقل ودين يغلبن كريما ولا يغلبهن إلا لئيم، فأحببت أن أكون كريما مغلوبا، على أن أكون لئيما غالبا » .

فهل تقبلينه زوجا . .؟

قالت الفتاة : ما تراه خيرًا يا والدى فهو خير .

قال الوالد الرحيم : إذن يا ابنتى هيىء من شأنك حتى نذهب إليه . .؟؟

وطرق باب ابن أبى وداعة مرة أخرى ـ وقال سعيد : هذه يا بنى زوجك، أخرج على سطح منزلك وألقى ببعض الحصيات على بيوت الجيران حتى يعلموا أنك ستعرس فى هذه الليلة . .؟؟

واجتمع جيران ابن أبى وداعة نساؤهم ورجالهم وأطفالهم وفتيانهم، ومعهم الدفوف وما يحتاجه إعلام الزواج ـ وزفت العروس إلى زوجها .

ولم ينس سعيد أن يدس فى يد صهره قبل انصرافه كيسًا مملوءا بالدنانير . . قائلا له : أصلح به شأنك وشأن عروسك .

واستراح سعيد : وحمد الله كثيرا لتوفيق الله له فى إبعاد ابنته عن زواجها من ابن الخليفة الذى لا يخاف الله تعالى .

ضرب سعيد بن المسيب وسجنه..؟؟

أراد عبد الملك بن مروان: أن يرد على سعيد بن المسيب فأصدر أمره بتعيين هشام بن إسماعيل ـ أكثر الولاة ضراوة وقسوة ـ واليا على المدينة.

ثم طلب منه أن يأخذ البيعة لابنه الوليد ليكون خليفة من بعده ـ فدعا الناس إلى البيعة ـ فبايع الناس.

ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع فأبى.

وقال: حتى أنظر..؟؟

فضربه هشام ستين سوطا وكروا به داخل المدينة..

فقال: أين تكرون بى..؟

قالوا: إلى السجن. وتم وضعه فيه.

ثم أرسل الوالى إليه فى داخل سجنه أبا بكر بن الحارث. فجعل يكلم سعيد ويقول له: إنك خالفت أمر الخليفة. وألبت العامة على الوالى.

قال سعيد: يا أبا بكر اتق الله وخافه وآثره على من سواه من خلقه..؟؟

قال: فجعل أبو بكر يحاول أن يجعله مطيعا للخليفة. سامعًا لأمر الوالى.

فقال سعيد: يا أبا بكر: إنك والله أعمى البصر أعمى القلب..؟؟

وخرج أبو بكر وذهب إلى هشام فى مجلس الحكم..؟؟

قال هشام: إيه هل لان سعيد بن المسيب منذ ضربناه. . ؟؟

قال أبو بكر: والله ما كان أشد لسانا منه منذ فعلت به ما فعلت. . ؟؟ فأكفف عن الرجل. . ؟؟

وجاءه كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه فى ضربه سعيد بن المسيب، ويأمره بإخراجه من السجن. . ؟؟

وخرج سعيد من السجن، والتف الناس حوله، وطلبوا منه أن يدعو على بنى أمية. . ؟؟

فقال سعيد: (اللهم أعز دينك وأظهر أولياءك، وأخز أعداءك. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين).

وكان لسعيد فى بيت المال بضعة وثلاثين ألفا عطاءه، فكان يُدعى لأخذها فيأبى ويقول: لا حاجة لى فيها حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان. . ؟؟

ثم ماذا. . ؟

حج عبد الملك بن مروان، فلما قدم المدينة وقف على باب المسجد، وأرسل إلى سعيد بن المسيب رجلا يدعوه ولا يغضبه. . ؟؟

قال: فأتاه الرسول وقال: أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك.

قال سعيد: ما لأمير المؤمنين إلىَّ حاجة، وما لى إليه حاجة وإن حاجته إلىَّ لغير مقضية. . ؟

قال: فرجع الرسول إليه فأخبره.

فقال عبد الملك بن مروان: ارجع إليه فقل إنما أريد أن أكلمك.

قال: فرجع إليه فقال له: أجب أمير المؤمنين.

فقال له سعيد ما قال له أولا .

فقال له الرسول: لولا أنه قال لى أمير المؤمنين لا تحركه، ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذه المقالة . . ؟

قال سعيد: إن كان أمير المؤمنين يريد أن يصنع لى خيراً فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك فلا أقوم من مقامى هذا حتى يقضى الله ما هو قاض.

قال: فأتاه فأخبره.

فقال عبد الملك بن مروان: رحم الله أبا محمد أبى إلا أن يكون صلبا معى . . ؟

ثم ماذا . . ؟

استخلف الوليد[1] بن عبد الملك ـ وجاء المدينة فدخل المسجد فرأى شيخا قد اجتمع الناس عليه.

فقال: من هذا . . ؟؟

فقالوا: سعيد بن المسيب . . ؟؟

فلما جلس أرسل إليه. فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين . ؟؟

فقال سعيد: لعلك أخطأت بإسمى، أو لعله أرسلك إلى غيرى.

قال: فأتاه الرسول، فغضب وهمَّ به.

---

(١) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان من ملوك الدولة الأموية فى الشام ولد سنة ٨٦ هـ وكان من قواده موسى بن نصير ، وطارق بن زياد وامتدت الدولة الإسلامية فى عهده إلى الهند والصين وهو أول من أحدث المستشفيات فى الإسلام . ووسع المسجد المكى والحرم النبوى وجدد بناء المسجد الأقصى فى القدس توفى عام ٩٦ هـ ودفن بدمشق .

[راجع ابن الأثير ٥ : ٣ والطبرى ٨ : ٩٧]

قال: وفى الناس يومئذ بقية، فأقبل عليه جلساؤه فقالوا: يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه..؟؟

قال: فما زالوا به حتى ابتعد عنه.

وكان سعيد إذا سأل عن هؤلاء القوم قال: أقول فيهم ما قولنى ربى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ويتساءل المرء: أين أمثال هؤلاء العلماء الذين تربوا فى مدرسة القرآن..؟

هل عقمت الأمة فلم تخرج أمثال هؤلاء الرجال..؟

إن الأمة الإسلامية فى عصرنا الراهن أحوج ما تكون لأمثال هؤلاء الرجال.

لو وجد هؤلاء الرجال لأعادوا للأمة مجدها وهدوا البشرية كلها - كما فعل أجدادهم - إلى الطريق السليم، طريق الإيمان والحق.

فمتى يا رب يوجد أمثال هؤلاء العمالقة..؟

العمالقة الذين مدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للناس، كل الناس فى أركان الأرض الأربعة..!

فمتى نراهم مقبلين..؟

متى يا رب..؟!

هذا وبالله التوفيق

---

(١) سورة الحشر آية رقم ١٠

الفضيل بن عياض وهارون الرشيد

حدث الفضل بن[1] الربيع قال:

حج أمير المؤمنين ـ هارون الرشيد[2] ـ فأتاني ـ فخرجت مسرعا.

فقلت: أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال ويحك قد حاك فى نفسى شيئ فانظر لى رجلا أسأله.

قلت: ها هنا سفيان[3] بن عيينه.

---

(١) الفضل بن الربيع أبو العباس ، وزير أديب حازم كان أبوه وزيرًا للمنصور العباسى ، تولى الوزارة فى خلافة الرشيد والأمين وعزله المأمون توفى بطوس عام ٢٠٨ هـ .

[راجع البداية والنهاية ١٠ :٢٦٣]

(٢) سبقت الترجمة له قريبًا من هذا .

(٣) سفيان بن عيينه بن ميمون ولد عام ١٠٧ هـ ثم تولى الحرم المكى وسكن مكة ، وتوفى بها عام ١٩٨ هـ وكان حافظًا ثقة واسع العلم ، كبير القدر ، حج سبعين حجة له الجامع فى الحديث وكتاب فى التفسير . [راجع تذكرة الحفاظ ١ : ٢٤٢]

فقال أمض بنا إليه.

فأتيناه فقرعنا الباب فقال: من ذا.. ؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعا فقال: يا أميرَ المؤمنينَ لو أرسلت إلىَّ لأتيتك.

فقال خذ لما جئنا له: رحمك الله. فحدثه ساعة ثم قال: « عليك دين ».. ؟

فقال: نعم.

فقال: أبا العباس اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك أنظر لى رجلا أسأله.

قلت: ها هنا عبد الرزاق[1] بن همام.

قال: أمض بنا إليه فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعًا.

فقال: من هذا..؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىَّ أتيتك.

فقال خذ لما جئنا له.. فحادثه ساعة، ثم قال له: عليك دين.. ؟

قال: نعم.

قال: أبا عباس أقض دينه.

فلما خرجنا قال ما أغنى عنى صاحبك شيئا.. انظر لى رجلا أسأله.

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى مولاهم. أبو بكر الصنعانى من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء كان يحفظ نحوًا من سبعة عشر ألف حديث. له « الجامع الكبير فى الحديث وكتاب فى تفسير القرآن توفى عام ٢١١ هـ ».

[راجع تهذيب التهذيب ٦ : ٣١٠]

قلت: ها هنا الفضيل[1] بن عياض.

قال: أمض بنا إليه.. فأتيناه فإذا هو قائم يتلو آية من القرآن يرددها.

فقال: اقرع الباب.. فقرعت الباب.

فقال: من هذا..؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

قال: وماذا يريد أمير المؤمنين.

فقال: سبحان ﷺ ما عليك طاعة.

فقال: أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: (ليس للمؤمن أن يذل نفسه).

ثم نزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا نجول بأيدينا فسبقت كف هارون قبلى إليه.

فقال: يا لها من كف.. ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله عز وجل..؟؟

فقلت فى نفسى: ليكلمنه الليلة بكلام من قلب تقى.

فقال له: خذ لما جئناك له، رحمك الله.

---

(١) الفضل بن عياض بن مسعود أبو على شيخ الحرم المكى من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة فى الحديث أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعى ولد فى سمرقند عام ١٠٥ هـ وتوفى فى مكة عام ١٨٧ هـ. [راجع طبقات الصوفية ٦ : ١٤ وصفة الصفوة : ١٣٤]

فقال: إن عمر بن عبد العزيز[1] ـ رضى الله عنه ـ لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة.

فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىَّ.. فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم عن الدنيا وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المؤمنين عندك أبا وأوسطهم أخا، وأصغرهم عندك ولدا، فوقر أباك، وكرِّم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: (إن أردت النجاة غدا من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لم ما تكره لنفسك. ثم مت إذا شئت.

وإنى أقول لك: إنى أخاف عليك أشد الخوف يوما تَزِلُ فيه الأقدام فهل معك رحمك الله ـ مثل هذا..؟

آو من يشير عليك بمثل هذا..؟

فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه.

فقلت له أرفق بأمير المؤمنين.

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة العادل ويطلق عليه خامس الخلفاء الراشدين ولد عام ٦١ هـ بالمدينة وتولى الخلافة سنة ٩٩ هـ ولم تطل مدته وقيل دُس له السم وتوفى عام ١٠١ هـ. [راجع تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥]

فقال له: زدنى رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكيا إليه، فكتب إليه عمر: يا أخى.. اذكر طول السهر لأهل النار مع خلود الأبد.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد. حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: (ما أقدمك..؟).

قال: خلعت قلبى بكتابك.. لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل.. فبكى الرشيد بكاء شديدا، ثم قال له: زدنى رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين: إن العباس عم المصطفى ﷺ - جاء إلى النبى - ﷺ.

فقال: يا رسول الله أمرّنى على إمارة.

فقال له النبى - ﷺ - (إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت ألا تكون أميرا فافعل).

فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً ثم قال: زدنى رحمك الله.

فقال: يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك.

فإن النبى - ﷺ - قال: (من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة)[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى الإيمان ٢٢٧ - ٢٢٨ والبخارى فى الأحكام ٨ وأحمد ابن حنبل فى المسند ٥ : ٢٥

فبكى هارون الرشيد وقال له: عليك دين..؟

قال: نعم دين لربى لم يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم ألهم حجتى.

قال: إنما أعنى من دين العباد.

قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، إنما أمرنى أن أصدق وعده، وأطيع أمره.

فقال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾[٢].

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوا بها على عبادتك.

فقال: سبحان الله ﷺ أنا أدلك على طريق النجاج، وأنت تكافئنى بمثل هذا..؟ سلمك الله ووفقك.

ثم صمت فلم يكلمنا.. فخرجنا من عنده فلما صرنا إلى الباب.

قال هارون الرشيد: إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا.

هذا سيد المسلمين، فلما انصرفنا دخلت عليه امرأة من نسائه.

فقالت: (يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به..؟)

فقال لها: مثلى ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه فلما

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦

كبر نحروه فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال:

ندخل فعسى أن يقبل المال. فلما علم الفضيل، خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة. فجاء هارون فجلس إلى جنبه. فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت :

(يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله) فانصرفنا .

علام تدل هذه الحادثة..؟

وما العبرة التى يمكن أن تأخذ منها..؟

حاكم الدولة يطلب النصيحة ويسعى فى طلبها وهى لا تأتى إليه حتى لا تكون فى مركز الضعف.

ولكنه بطرق الأبواب إليها ويلتمس الوسيلة للعثور عليها.

وتأتى النصيحة إليه عن طريق القدوة والمثل.

فهناك حاكم مثله كان يجمع حوله أهل الورع والتقى وعيون العلماء وخاصة المسلمين.

يجمعهم حوله للتذكر إذا نسى.

ويجمعهم حوله للنصيحة إذا ضل.

ويجمعهم حوله لاستشارتهم، وحتى لا يقطع أمرًا دونهم.

والشورى من قواعد الحكم فى الإسلام، طلبها الرسول ﷺ

بقوله: (أشيروا علينا أيها الناس).

وأمر الله سبحانه وتعالى بها فى قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1].

ومدح المؤمنين بها فى قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾[2].

والحاكم هذا لم يفعل ذلك، حوله حاشية من خلصائه، ويحيط به رجال جاءت بهم متطلبات الحكم والسياسة، ولكنهم لا يدعونه إلى النجاة، ولا يرشدونه إلى طريق الحق، حتى يصل إلى العالم.

العالم الذى تربى فى مدرسة القرآن.

وتمذهب بمذهب الحق، فصدع أمامه بكلمة الصدق.

ذكّره بالدار الآخرة. وكان التذكير والتخويف بشىء يمس الحاكم ويتأثر به.

أهذه اليد لك..؟

ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله..؟؟

واختار العالم يد الحاكم لماذا..؟

لماذا اليد بالذات..؟

لأنها ليست كأيدى الاخرين.

يد الحاكم هى التى توقع وتصدر الأحكام وتعفو عن الناس وتقسم بينهم أموالهم.

يد الحاكم تشارك مشاركة فعالة فى كل شؤون الرعية.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩

(٢) سورة الشورى آية رقم ٣٨

أيمكن أن تنجو غدا من عذاب النار. .؟

نعم إن كانت على الجادة. . إن ابتعـدت عن الجور وأقامت العدل بين الناس.

والحاكم فى منطق الإسلام رجل من عامة المسلمين.

رجل يؤمن بالله ويغرس الإيمان فى المجتمع.

رجل يصلى لنفسه ويؤم الناس فى الصلاة.

رجل يخرج الزكاة ويشرف على جمعها من الآخرين.

رجل يصوم رمضان ويرقب حرمة الشهر فى أرجاء المجتمع.

أبـو حـازم
وسليمان بن عبد الملك[1]

وهذا رجل آخر من صـحابة رسول الله ﷺ ممن تربى فى مـدرسة القـرآن ونهل من نبع النبـوة يلتقى مع رجـل آخر من رجـال السلطان والملك ويدور بينهما هذا الحوار:

روى الدارمى فى مسنده عن الضحاك بن موسى قال:

مرَّ سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة فقام بها أياما.

فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحد من أصحاب النبى ﷺ: ؟

قالوا له: أبو حازم ـ فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له:

يا أبا حازم ما هذا الجفاء..؟

---

(١) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان - أبو أيوب الخليفة الأموى . ولد فى دمشق عام ٥٤ هـ وولى الخلافـة يوم وفاة أخـيه الوليد سـنة ٩٦ هـ . عندها أطلق الأسرى ، وعـفا عن المجرمين ، وأحـسن إلى الناس . جهـز جيشًـا كبيـرًا بقيادة أخـيه مسلمـة لفتح القسطـنطينية ففتحها، وفتح جرجان وطبرستان توفى فى دابق عام ٩٩ هـ رحمه الله .

[راجع اليعقوبى ٣ ـ ٣٦ وابن خلدون ٣ ـ ٧٤]

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأى جفاء رأيت منى..؟

قال سليمان: أتانى وجوه أهل المدينة ولم تأتنى.

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين أعذيك بالله أن تقول ما لم يكن!؟ ما عرفتنى قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك.

فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهرى فقال: أصاب الشيخ وأخطأت.

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت: ؟

قال أبو حازم: لأنكم خرّبتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم فكيف القدوم غدا على الله تعالى: ؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالعبد يقدم على سيده.

فبكى سليمان وقال: ليت شعرى ما لنا عند الله: ؟

قال أبو حازم: إعرض عملك على كتاب الله.

قال سليمان: وأى مكان أجده..؟

قال أبو حازم: عند قوله تعالى﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾** ﴾[1].

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم..؟

قال: إن رحمة ﷺ قريبة من المحسنين.

---

(١) سورة الإنفطار آية رقم ١٣ ـ ١٤

قال سليمان: فأى عباد الله أكرم. . ؟

قال: أولوا المروءة والنهى.

قال سليمان: فأى الأعمال أفضل. . ؟

قال أبو حازم: أداء الفرائض مع إجتناب المحارم.

قال سليمان: فأى الدعاء أسمع. . ؟

قال: دعاء المحسن إليه للمحسن.

فقال سليمان: أى الصدقة أفضل. . ؟

قال أبو حازم: للسائل البائس ، وجهد المقل ليس فيها مَنٌّ ولا أذى.

قال سليمان: فأى القول أعدل. . ؟

قال أبو حازم: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

قال سليمان: فأى المؤمنين أكيس. . ؟

قال أبو حازم: رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها.

قال سليمان: فأى المؤمنين أحمق. . ؟

قال أبو حازم: رجل صار فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت فما تقول فيما نحن فيه. . ؟

قال: يا أمير المؤمنين أو تعفينى. . ؟

قال له سليمان: لا ، ولكن نصيحة تلقيها إلىَّ.

قال أبو حازم: إن آباءك قهروا الناس بالسيف. وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم ، حتى قتلوا منهم

مقتلة عظيمة ، فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت بما قالوه وما قيل لهم . . ؟

فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم.

قال أبو حازم: كذبت إن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح . . ؟

قال: تدعون الصلف ، وتتمسكون بالمرؤة ، وتقسمون بالسيوية.

قال له سليمان: فكيف لنا بالمأخذ به . . ؟

قال أبو حازم: تأخذه من حله وتضعه فى أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك . . ؟

قال أبو حازم: أعوذ بالله.

قال له سليمان: ولم ذاك . . ؟

قال: أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك.

قال أبو حازم: تنجينى من النار وتدخلنى الجنة.

قال له سليمان: ليس ذاك إلىّ.

قال أبو حازم: فما لى إليك حاجة غيرها.

قال له سليمان: فادع لى.

قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال له سليمان: قط.

قال أبو حازم: قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله ، وإن لم تكن من أهله فما ينبغى أن أرمى من قوس لها وتر.

قال له سليمان: أوصنى.

قال: سأويصك وأوجز ، عَظِّمْ ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفتقدك حيث أمرك.

قال الراوى: فلما خرج أبو حازم من عند سليمان بعث إليه بمائة دينار وكتب إليه: إن أنفقتها لك عندى مثلها كثير. فردها عليه أبو حازم وكتب إليه: يا أمير المؤمنين: أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياى هزلاً أو ردى عليك بذلاً ، وما أرضاها لك. فكيف أرضاها لنفسى..؟

ثم ساق أبو حازم فى كتابه إلى سليمان قصة موسى عليه السلام مع بنتى الرجل الصالح وقد سقى لهما غنمهما ثم التجأ إلى الله تعالى بقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] فسأل ربه ولم يسأل الناس ثم قال أبو حازم: فإن كانت هذه المائة دينار عوضًا لما

---

(١) سورة القصص الآية ٢٤.

حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الإضطرار أحل من هذه ، وإن كانت لحق فى بيت المال فلى فيها نظراء ، فإن ساويت بيننا وإلا فليس لى فيها حاجة.

رحم الله أبا حازم وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء . لأنه نصح الخليفة . وأمره بالرفق بالرعية ، ونهاه أن يكون جباراً فى الله . وذكَّره أن العاقبة للمتقين .

شريك بن عبد الله
والأمير موسى بن عيسى

روى صاحب العقد الفريد أن امرأة أتت يوما القاضى شريك[1] بن عبد الله قاضى الكوفة ـ وهو فى مجلس الحكم.

فقالت: (أنا بالله ثم القاضى).

قال: من ظلمك.. ؟

قالت: الأمير موسى بن عيسى بن عم أمير المؤمنين.

ثم ذكرت قصتها فقالت:

(كان لى بستان على شاطىء الفرات فيه نخل ورثته عن أبى، وقاسمت إخوتى وبنيت بينى وبينهم حائطا، وجعلت فيه رجلا

(١) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعى أبو عبد الله عالم الحديث ، فقيه اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته استقضاه المنصور العباسى على الكوفة سنة ١٥٣ هـ ثم عزله ، وأعاده المهدى فعزله موسى الهادى ، وكان عادلاً فى قضائه مولده فى بخارى ووفاته بالكوفة عام ١٧٧ هـ رحمه الله .

[راجع تذكرة الحفاظ ١ ـ ٢١٤]

فارسيا، يحفظ النخل ويقوم به، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتى، وساومنى فلم أبعه فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل، فاقتلعوا الحائط وأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا، اختلط بنخل إخوتى).

فقال القاضى شريك: (يا غلام أحضر الطينة - أى الخاتم - فكتب ورقة وختمها وقال للمرأة: أمض إلى بابه بالختم حتى يحضر معك).

فجاءت المرأة بالورقة المختومة فأخذها الحاجب.

ودخل على موسى بن عيسى فقال: قد أعدى القاضى عليك وهذا ختمه.

فقال الأمير: أدع لى صاحب الشرطة فدعا به.

فقال له: أمض إلى شريك وقل له:

(سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علىَّ. . ؟)

قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفينى من ذلك. . ؟

قال: أمض ويلك.

فخرج صاحب الشرطة وقال لغلمانه اذهبوا وادخلوا إلى حبس القاضى بساطًا وفرشًا وما تدعو الحاجة إليه، ثم مضى إلى شريك.

فلما وقف بين يديه أدى الرسالة.

فقال القاضى لغلام المجلس: (خذ بيده فضعه فى الحبس).

فقال صاحب الشرطة والله لقد علمت أنك تحبسنى فقدمت ما

أحتاج إليه إلى المجس.

وبلغ الأمير موسى الخبر، فوجه الحاجب إليه وقال له: (رسول أدى الرسالة، أى شيء عليه. . ؟

فقال شريك: أذهبوا به إلى رفيقه إلى الحبس، فحبس الحاجب مع صاحب الشرطة، فلما صلى الأمير موسى[1] العصر بعث إلى إسحاق ابن الصباح الأشعثى وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضى شريك وقال لهم: أمضوا إلى القاضى وأبلغوه السلامَ وأعلموه أنه استخف بى، وأنى لست كالعامة.

فمضوا ـ وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة.

فلما انقضى كلامهم قال لهم القاضى: (وما لى أراكم جئتمونى فى جماعة من الناس فكلمتمونى. . ؟)

من هنا من فتيان الحى. . ؟

فأجابه جماعة من فتيان الحى.

فقال: ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس.

ما أنتم إلا فتنه وجزاؤكم الحبس.

قالوا: أجاد أنت. . ؟

---

(١) هو موسى بن عيسى امير من آل عباس كان جوادًا عاقلاً ولى الحرمين للمنصور والمهدى مدة طويلة ، ثم ولى اليمن للمهدى وولى مصر للرشيد سنة ١٧١ هـ ثم عاد للعراق فولاه الرشيد الكوفة ثم دمشق توفى عام ١٨٣ هـ .

[راجع النجوم الزاهرة ٢ - ٦٦]

قال: حقًا حتى لا تعودوا إليَّ برسالة ظلم فحبسهم.

فركب موسى بن عيسى فى الليل إلى باب السجن، وفتح الباب وأخرجهم كلهم، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره.

فدعا بالقمطر فختمه ووجه إلى منزله، وقال لغلامه إلحق بثقلى إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكنهم أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذا تقلدناه لهم.

ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد.

وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى فركب فى موكبه ولحقه وجعل يناشده الله.

ويقول: يا أبا عبد الله تثبت أنظر إخوانك تحبسهم. وهم أعوانى.

قال: نعم لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدى فأستعفيه مما قلدنى. فأمر موسى بردهم جميعا إلى الحبس وهو واقف مكانه حتى جاءه السجان فقال: قد رجعوا جميعا إلى الحبس .

فقال لأعوانه: خذوا بلجام دابته بين يدى إلى مجلس الحكم فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء.

فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه: قبل كل أمر، أنا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس.

فقال شريك: أما الآن فنعم، أخرجوهم من الحبس.

فقال: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة..؟

قال: صدقت.

قال : ترد ما أخذت منها وتبنى حائطا سريعا كما كان.

قال موسى: أفعل ذلك كله..؟

قال القاضى للمرأة: أبقى لك عليه شىء..؟

قالت: بيت الرجل الفارسى ومتاعه.

قال موسى: ويرد ذلك كله.

قال القاضى: أبقى لك عليه دعوى.. ؟

قالت: لا. وبارك الله عليك وجزاك خيرا.

قال: قومى، فقامت من مجلسه.

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه.

وقال: (السلام عليك أيها الأمر أتأمر بشىء...؟).

قال: أى شىء آخر..؟ وضحك.

فقال له شريك: أيها الأمير: ذاك الفعل حق الشرع. وهذا القول الآن حق الأدب.

فقام الأمير وانصرف إلى منزله وهو يقول: من عظَّمْ أمر الله أذل الله له عظماء خلقه.

الإمام أحمد بن حنبل يصارع المأمون والمعتصم فى دعوتهما الأمة للقول بخلق القرآن

يقول العالم الجليل محمد بن نوح: سمعت هارون أمير المؤمنين يقول: « بلغنى أن بشرًا المريسى[1] زعم أن القرآن مخلوق!! علَّى إن أظفرنى اللَّه به لأقتلَّنه قتلة ما قتلها أحد قط ».

قال الإمام أحمد بن حنبل ولما علم بمقولة هارون فكان بشر متواريًا فى أيامه نحوًا من عشرين سنة حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة.

فلما كانت خلافة المأمون استحوذ عليه جماعة من المعتزلة، فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن!!

(١) هو بشر بن غياث المريس أبو عبد الرحمن ، فقيه معتزلى ، عارف بالفسلفة يرمى بالزندقة ، وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء أخذ الفقه عن القاضى أبى يوسف وقال برأى الجهمية ، وأوذى فى دولة هارون الرشيد توفى عام ٢١٨ هـ .

[راجع وفيات الأعيان ١ ـ ٩١]

واتفق خروج المأمون إلى طرسوس لغزو الروم، فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهددهم بالضرب، وقطع الأرزاق، فأجاب أكثرهم مكرهين، واستمر على الامتناع من ذلك:

الإمام أحمد بن حنبل، والإمام محمد بن نوح الجنديسابورى. فحملا على بعير وسيرا إلى الخليفة، وهما مقيدان متعادلان فى محمل على بعير واحد، فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل يسمى جابر بن عامر، فسلم على الإمام أحمد وقال له: يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤمًا عليهم! وإنك رأس الناس اليوم، فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة.

وإن كنت تحب اللّٰه فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإنك إن لم تقتل تمت!! وإن عشت عشت حميدًا .

يقول أحمد رضى اللّٰه عنه وكان كلامه مما قوى عزمى على ما أنا فيه من الامتناع، فلما وصلا إلى مدينة الأنبار كان فى انتظارهم على الطريق العالم الجليل أبو بكر الأحول[1]، فسأل أحمد بن حنبل قائلاً:

---

(١) هو عاصم بن سليمان الأحول البصرى من حفاظ الحديث ثقة من أهل البصرة ، تولى بعض الأعمال فكان بالكوفة على الحسبة . وكان قاضيًا بالمدائن ، واشتهر بالزهد والعبادة توفى عام ١٤٢ هـ .

[راجع تهذيب التهذيب ٥ ـ ٤٢ وحلية الأولياء ٣ ـ ١٢٠]

يا أبا عبد اللَّه إن عرضت على السيف تجيبهم إلى ضلالتهم ؟

قال أحمد: لا .

قال أبو بكر: الحمد للَّه، ثم ودعهما وانصرف .

وسارت القافلة بالإمامين الجليلين حتى اقتربا من عاصمة البلاد، جاءهم رجل - وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه - ويقول: يعز على يا أبا عبد اللَّه أن المأمون قد سَّل سيفًا لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف .

قال: فجثا الإمام أحمد على ركبته، ورمى بطرفه إلى السماء وقال: « يا إلهى غَّر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل!! اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا شَّر هذا الرجل!

قال : ولما كان ثلث الليل الأخير جاءنا الصريخ بموت المأمون، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولى الخلافة، وقد انضم إليه أحمد[1] بن أبى دؤاد وأن الأمر شديد فردونا إلى بغداد، ونالنى منهم أذى كثير .

ثم ماذا ؟ مات صاحبى ابن نوح فى الطريق، فصليت عليه ووسدته قبره، وبقيت فى سجن بغداد نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا ، ثم أخرجونى إلى الضرب بين يدى المعتصم .

---

(١) هو أحمد بن أبى داود بن جرير بن مالك أبو عبد الله أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن ولد بالبصرة عام ١٦٠ هـ وكان عارفًا بالأخبار والأنساب. وكان شديد الدهاء. كان قاضى القضاة فى دولة المأمون. توفى ببغداد عام ٢٤٠ هـ [راجع ابن خلكان ١ ـ ٢٢ وتاريخ بغداد ٤ ـ ٤١]

المعتصم وأحمد بن حنبل
وجهًا لوجـه

يقول أحمد: جئنا دار المعتصم[1] فأدخلت فى بيت، وأغلق علىَّ، فلما أصبحت دعيت فأدخلت على المعتصم، فلما نظر إلىَّ وعنده ابن أبى دؤاد قـال: « أليس قد زعـمتـم أنه حدث السن؟ ». وهذا شـيخ مكتهل؟

فلما دنوت منه وسلمت قال لى: ادنـه فلم يزل يدنينى حتى قربت منه، ثم قال: اجلس، فجلست وقد أثقلنى الحـديد، فمكست ساعة، ثم قلت:

يا امير المؤمنين: إلام دعا إليه ابن عمك رسول الله ﷺ؟

(١) هو محمد بن هارون الرشـيد بن المهدى أبو إسحاق المعتصم بالله العـباسى خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ بعد وفاة أخيه المأمون ـ وهو فاتح عمورية من بلاد الروم وبانى مدينة سامرا ، خلافته ٨ سنين و ٨ أشهر توفى بسامرا عام ٢٧٧ هـ .
[راجع تاريخ بغداد ٣ ـ ٣٤٢]

قال: إلي شهادة أن لا إله إلا الله.

قلت: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله.

قال: ثم تكلم ابن أبى دؤاد بكلام لم أفهمه !!

ثم قال المعتصم: لولا أنك كنت فى يد من كان من قبلى لم أعترض إليك.

ثم قال: يا عبد الرحمن: ألم آمرك أن ترفع المحنة؟

قال أحمد: فقلت: الله أكبر فرج المسلمين، ثم قال ناظره يا عبد الرحمن.

فقال لى عبد الرحمن: ما تقول فى القرآن؟

فلم أجبه !!

فقال المعتصم: أجبه.

فقلت: ما تقول فى العلم؟ فسكت.

فقلت: القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله.. فسكت.

فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كفَّرَك وكفَّرَنا.. فلم يلتفت المعتصم إلى ذلك.

فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قرآن.

فقلت: كان الله ولا علم؟

فسكت، ثم جعلوا يتكلمون من ههنا وههنا.

فقلت: يا أمير المؤمنين: اعطونى شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله

حتى أقول به.

وانقضى اليوم الأول فى الجدل والمحـاورة، واليوم الثانى والثالث، وفى غضون ذلك كلـه كان المعتصم يقول: يا أحـمد أجبنى إلى هذا حتـى أجعلك من خـاصتى، وممن يطأ بسـاطى، فأقـول: « يا أمـير المؤمنين يأتونى بآية مـن كتـاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ حـتى أجيبهم إليها.

واجتمع أحمد عليهم حتى أنكروا الآثار بقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾ [مريم: ٤٢]

وقوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾ [النساء: ١٦٤]

وبقوله: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي (١٤) ﴾ [طه: ١٤]

وبقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠) ﴾ [النحل: ٤٠]

فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة.

فقالوا: يا أمير المؤمنين.. هذا كافر ضال ومضل.

وقال له إسـحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلى سبيله، ويغلب خليفتين!

فعند ذلك حـمى واشتد غـضبه، وكان أليـنهم عريكة، وهو يظن أنهم على شىء.

قـال أحـمـد: فـعند ذلك قـال لى: لعنك الله طمـعت فـيك أن تجيبنى، فلم تجيبنى، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه.

قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت، وجيء بالعاقبين والسياط ، وكان معى شعيرات من شعر النبى ﷺ مصروة فى ثوبى فجردونى منه وصرت بين العقابين.

فقلت: يا أمير المؤمنين.. الله.. الله.. إن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله **إلا بإحدى ثلاث**»[1] ، وتلوت **الحديث، وأن رسول** الله ﷺ قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم».. فبم تستحل دمى ولم آت شيئًا من هذا؟

يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدى الله كوقوفى بين يديك !! فكأنه أمسك !؟

ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر حتى أمر بجلدى، فغبت عن الوعى، ولم أشعر إلا وأنا فى حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجلى، ثم دخل عليه المروزى وجماعة من أهل الحديث، فقال له المروزى: قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٩]

فقال له أحمد: أخز يا مروزى.. انظر أى شىء ترى؟

قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقًا من الناس لا يحص عددهم إلا الله عز رجل فى أيديهم الأقلام والمحابر فى أذرعتهم !!

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الديات ٦ ومسلم فى القسامة ٢٥ وأبو داود فى الحدود ١ وأحمد بن حنبل فى المسند ١ ـ ٦١ ، ٦٢ (حلبى) .

فقال لهم المروزى: أى شىء تعملون؟

فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه.

فقال المروزى: مكانكم فدخل إلى أحمد وقال له: رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه !!

فقال أحمد: يا مروزى أضل هؤلاء كلهم !! أقتل نفسى ولا أضل هؤلاء كلهم.

قلت: هذا رجل هانت عليه نفسه فى الله عز وجل فبذلها وقد صح أن الرسول ﷺ قال: « يبتلى الرجل على حسب دينه » فسبحان من أيده وبصره وقواه ونصره.

وقال ميمون بن الأسبع: « كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت: ما هذا؟ » قالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فأتيت منزلى فأخذت مالاً له حظ فذهبت به إلى من يدخلنى إلى المجلس، فأدخلونى، فإذا السيوف قد جردت والرماح قد ركزت، والتروس قد نصبت، والسياط قد طرحت، فألبسونى قباء أسود ومنطقة وسيفاً، وأوقفونى حيث أسمع الكلام !!

فأتى أمير المؤمنين وجلس على كرسى، وأتى أحمد بن حنبل فقال له: وقرابتى من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط أو تقول كما أقول!! ثم التفت إلى الجلاد فقال: هذه إليك.. فلما ضرب سوطاً قال: بسم الله.. فلما ضرب الثانى: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.. فلما ضرب الثالث: قال القرآن كلام الله غير مخلوق.. فلما

ضرب الرابع: قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

فضرب تسعة وعشرين سوطا، وكان تِكَّة أحمد حاشية ثوب فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته، فقلت: الساعة ينهتك.

فرمى أحمد طرفه نحو السماء، وحرك شفتيه، فما كان أسرع من أن بقى السروال لم ينزل.

قال ميمون: ورحلت إليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبد الله رأيتك يوم ضربوك قد انحل سراويلك فرفعت طرفك نحو السماء، ورأيتك تحرك شفتيك، فأى شيء قلت؟

قال: قلت: اللهم ربى أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم إنى على الصواب فلا تهتك لى سِتراً.

يقول عبد الله بن الإمام أحمد: كنت كثيراً أسمع والدى يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله تعالى لأبى الهيثم، عفا الله عن أبى الهيثم.

فقلت: يا أبت، من أبو الهيثم؟

قال: لا تعرفه؟

قلت: لا..

قال: أبو الهيثم الحداد، اليوم الذى خرجت فيه للسياط، ومددت يدى للعقابين، إذا أنا بإنسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى تعرفنى؟

قلت: لا.

قال: أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين لأنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وضربت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا.. فاصبر أنت فى طاعة الله من أجل الدين.

قال: فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفاً.. ثم ماذا.. خرج الخادم فقال: عفا عنه أمير المؤمنين.

وهكذا انتصر الحق وخسأ الباطل، وعادت قوة الإيمان إلى قلوب المؤمنين بصلابة هذا الرجل وقوة إيمانه، وثبات جنانه.

إن الأمة الإسلامية الآن فى ظروفها الراهنة فى حاجة إلى أحمد بن حنبل جديد، ليهزم الذين يقولون فى دين الله بغير علم، ويفتون بغير فقه، ويمالئون الحكام على ظلمهم وبغيهم !!

فمتى يا رب يوجد فى أمتك أمثال هؤلاء الرجال حتى يتلاشى الزور والبهتان، ويطبق شرع الله فى كل ركن من الأركان.. متى يا رب؟ إنا لمنتظرون.

قضية خلق القرآن
بين صالح بن المنصور الهاشمى
والمهتدى بالله أمير المؤمنين

قال صالح بن على: حضرت مجلس المهتدى بالله[1] أمير المؤمنين وقد جلس ينظر فى أمور الناس فى دار العامة، فنظرت إلى مصالح الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها، فيأمر بالتوقيع يها، وإنشاء الكتب لأصحابها فتختم وتدفع إلى أصحابها بين يديه فسرنى ذلك.

وجعلت أنظر إليه ففطن لىَّ ونظر إلىَّ فغضضت عنه، حتى كان ذلك منى ومنه مرارًا، إذا نظر إلىَّ غضضت، وإذا اشتغل عنى نظرت.

فقال: يا صالح.

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، وقمت قائمًا.

---

(١) هو محمد بن هارون الواثق ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد أبو عبد الله المهتدى بالله العباسى، من خلفاء الدولة العباسية، بويع له بالخلافة بعد خلع المعتز سنة ٢٥٥ هـ، مدة خلافته أحد عشر شهراً قتل عام ٢٥٦ هـ.

فقال: أفى نفسك منى شيء تحب أن تقوله. . ؟

فقلت له: نعم يا سيدى.

فقال لى: عد إلى موضعك. فعدت وعاد فى النظر حتى قام وقال للحاجب: لا يبرح صالح، فانصرف الناس، ثم أذن لى، وقد أهمتنى نفسى، فقمت فدخلت، ودعوت له فقال لى: أجلس. فجلست.

فقال: يا صالح تقول ما دار فى نفسك أو أقول أنا ما دار فى نفسى إنه دار فى نفسى ما دار فى نفسك !!

فقلت يا أمير المؤمنين ما تعزم عليه وتأمر به أطال الله بقاءك.

فقال: كأنى بك وقد استحسنت ما رأيت منى فقلت: أى خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول القرآن مخلوق. . ؟؟

فورد على قلبى أمر عظيم وأهمتنى نفسى ثم قلت هل تموتين إلا مرة، وهل تموتين قبل أجلك وهل يجوز الكذب فى جد أو هزل. . ؟

فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما دار فى نفسى إلا ما قلت.

ثم أطرق مليًا وقال:

ويحك اسمع منى ما أقول فوالله لتسمعن الحق، فسرى عنى.

فقلت: يا سيدى من أولى بقول الحق منك، وأنت أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين من الأولين والآخرين.

فقال لى: ما زلت أقول القرآن مخلوق صدرًا من خلافة الواثق[1]

---

(١) هو هارون (الواثق بالله) ابن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد العباسى، أبو جعفر، من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٧٧ فامتحن الناس فى خلق القرآن، وسجن جماعة توفى عام ٢٣٢ هـ راجع البداية والنهاية ١٠: ٢١٣ واليعقوبى ٣: ١٣٩.

حتى أقدم علينا أحمد[1] بن أبى دواد شيخًا من أهل الشام من أهل أدنه، فأدخل الشيخ على الواثق مقيدًا، وهو جميل الوجه، تام القامة حسن الشيبة فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له، فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه، فسلم الشيخ بأحسن السلام، ودعا بأبلغ الدعاء وأوجز.

فقال له الواثق: اجلس. ثم قال له:

« يا شيخ ناظر ابن أبى دؤاد على ما يناظرك عليه ».

قال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن ابن دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة. ؟؟

فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبًا.

فقال: أبو عبد الله ابن أبى دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت.. ؟

فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك واثذن لى فى مناظرته.

فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أحمد بن أبى دؤاد إلام دعوت الناس ودعوتنى إليه.. ؟

(١) أحمد بن أبى داود بن جرير أبو عبد الله: أحد القضاة المشهورين من المعتزلة. ورأس الفتنة بخلق القرآن. ولد بالبصرة عام ١٦٠ هـ وتوفى سنة ٢٤٠ هـ. كان عارفاً بالأخبار والأنساب، قال الذهبى: كان جهمياً بغيضاً حمل الخلفاء على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن.

فقال: إلى أن تقول القرآن مخلوق، لأن كل شيء من دون الله مخلوق.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إنى رأيت أن تحفظ علىَّ وعليه ما نقول.

قال: أفعل.

فقال الشيخ: يا أحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أواجبة داخلة فى عداد الدين، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت..؟

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد أخبرنى عن رسول الله - ﷺ - حين بعثه الله عز وجل هل ستر شيئًا مما أمره الله به فى دينه.. ؟

قال: لا.

قال الشيخ: فدعا رسول الله - ﷺ - الناس إلى مقالتك هذه..؟

فسكت ابن أبى دؤاد.

فقال الشيخ له: تكلم فسكت.

فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال: يا أمير المؤمنين واحدة.

فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد أخبرنى عن آخر ما أنزل الله من القرآن على رسول الله - ﷺ - فقال:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[1].

(١) سورة المائدة آية رقم ٣.

فقــال الشيخ: أكان الله تبـارك وتعالى الصادق فى إكـمال دينه أم أنت الصـادق فى نقصـانه، فلا يكـون الدين كامـلاً حتى يقـال فيـه بمقالتك هذه. . ؟

فسكت ابن دؤاد.

فقال الشيخ: أجب يا أحمد. فلم يجب. .

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين: إثنتان.

فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله ـ ﷺ ـ أم جهلها. . ؟

فقال ابن أبى دؤاد: علمها.

فقال الشيخ: أدعا الناس إليها. . ؟ فسكت ابن أبى دؤاد. . ؟؟

فقال الشيخ: أدعا الناس إليها. . ؟ فسكت. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين ثلاث.

فقال الواثق[1]: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد فـاتسع لرسول الله ـ ﷺ ـ كما زعمت فلم يطالب أمته بها. . ؟

قال: نعم.

---

(١) هو هارون بن محـمد المعـتصم بالله ابن هارون الرشـيد العبـاسى، أبو جعـفر، ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧ فامتحن الناس فـى خلق القرآن، وسجن جماعة وقتل أحمد بن نصـر الخـزاعى بيده سنة ٢٣١ هـ مات فى سـامـرا سنة ٢٣٢ هـ. راجع ابن الأثيـر ٧: ١٠ والطبرى ١١: ٢٤.

فقال الشيخ: واتسع لأبى بكر ـ رضى الله عنه، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهم. . ؟

قال ابن أبى دؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال:

« يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ـ ﷺ ـ ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك.

فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ولأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى ـ رضى الله تعالى عنهم، فلا وسَّع الله علينا.

اقطعوا قيد الشيخ.

فلما قطعوا قيده ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه فجذبه الحداد إليه.

فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه.

فأخذه الشيخ فوضعه فى كمه.

فقيل للشيخ: لم جاذبت عليه. . ؟

فقال الشيخ: لأنى نويت أن أتقدم إلى من أوصى إليه إذا أنا مت أن يجعله بينى وبين كفنى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا لم قيدنى وروَّع أهلى وولدى وإخوانى بلا حق أوجب ذلك علىَّ ؟

وبكى الشيخ، وبكى الواثق، وبكيت.

ثم سأله الواثق: أن يجعله فى حل وسعه مما ناله منه.

فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك فى حل وسعة من أول يوم إكرامًا لرسول الله - ﷺ - إذ كنت رجلاً من أهله.

فقال الواثق: لى إليك حاجة.

فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت.

فقال الواثق: تقيم قبلنا فينتفع بك فتياننا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين: إن ردك إياى إلى الموضع الذى أخرجنى منه هذا الظالم أنفع لك من مقامى.

فقال الواثق: أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك..؟

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين لا تحل لى أنا عنها غنى وذو ثروة.

فقال له: أتسأل حاجة..؟

قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين.. ؟

قال: نعم.

قال: تخلى سبيلى إلى السفر الساعة وتأذن لى.

قال: قد أذنت لك. فسلم عليه الشيخ وخرج.

قال صالح: فقال المهتدى بالله: فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم، وأظن أن الواثق بالله، كان رجع عنها من ذلك الوقت.

العز[1] بن عبد السلام وبيعه أمراء المماليك فى سوق الرقيق

عملاق من عمالقة الفكر، وشيخ الإسلام والمسلمين - فى عصره - وأحد الأئمة الأعلام، أطلق عليه علماء عصره - سلطان العلماء .

كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، عالمًا بحقائق الشريعة وغوامضها، نشأ على ربوع دمشق، وكان فيها إمام الأئمة، وشيخ الخطباء. وأمتدت إقامته فى دمشق إلى أيام الملك الصالح: اسماعيل المعروف بأبى الخيش. وكان إسماعيل هذا: ضعيف الشخصية، قليل الإيمان، خشى أن يعزل من قبل الرعية. فأستعان بالفرنجة، وأطلق

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى عز الدين الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد ولد فى دمشق ٥٧٧ هـ ونشأ فى دمشق وزار بغداد تولى القضاء والخطابة فى مصر ، ومكنه من الأمر والنهى الملك الظاهر . توفى بالقاهرة ٦٦٠ هـ .

[راجع فوات الوفيات ١ ـ ٢٨٧ وطبقات السبكى ٥ ـ ٨٠ ـ ١٠٧]

يدهم فى البلاد وأعطاهم مدينة صيدا، وقلعة الشقيف.

فانكر عليه الشيخ، وأخذ ينال منه فى كل موقع - وقال له: كيف تؤمن لهؤلاء الفرنجة وتسلمهم أرضًا غالية للمسلمين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[1]

وترك الدعاء له فى الخطبة، وسأعده فى ذلك جمع من العلماء على رأسهم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكى.

فغضب السلطان منه - وأخذ فى تأليب الأعداء عليه.

وعندها فكر الشيخ فى الخروج من دمشق، وتوجه إلى القاهرة، فتلقاه فيها سلطانها - الملك الصالح[2] نجم الدين أيوب بن الكامل، وأكرمه، وولاه قضاء مصر كلها والخطابة فى جامع عمرو بن العاص - رضى الله عنه.

معركته الأولى
مع أمراء المماليك بمصر

إتفق أن فخر الدين: عثمان بن شيخ الشيوخ - وهو الذى كان إليه أمر المملكه عمد إلى مسجد بمصر فأقام على ظهره دارًا للغناء واللهو.

فلما وصل خبر هذا البناء إلى العز وتثبت منه أصدر حكمه بهدم

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٣

(٢) هو أيوب الملك الصالح بن محمد الملك الكامل أبو الفتوح نجم الدين من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧ هـ مات بالمنصورة ونقل إلى القاهرة عام ٦٤٧ هـ من آثاره قلعة الروضة.

[راجع خطط المقريزى ٢ : ٢٣٦]

البناء، واسقط فخر الدين ابن الشيخ من مناصبه.

ثم عزل نفسه من قضاء المحروسة.

وظن فخر الدين وغيره. أن هذا الكلام لا يتأثر به خارج المحروسة.. ؟؟ ثم ماذا.. ؟.

لم يمض على هذه القرارات التى أتخذها قاضى القضاء إلا فترة وجيزة حتى جهز السلطان: الملك الصالح رسولاً من عنده إلى الخليفة المعتصم ببغداد فلما وصل الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدى الخليفة، وأدى الرسالة - خرج إليه وسأله:

«هل سمعت هذه الرساله من السلطان.. ؟.

قال: لا. ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين ابن شيخ الشيوخ.. ! ؟ قال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته.. ؟؟ فرجع الرسول إلى السلطان، وأخبره باسقاط الخليفة المعتصم لأهلية فخرالدين ابن الشيخ - تنفيذاً لاسقاط العز بن عبد السلام له.

إن الحاكم: كان يعلم أن أحكام قاضى القضاه لابد من تنفيذها لأنها من شرع الله.

وقاضى القضاة رجل يخاف الله فى سره وعلانيته - وأقدر على فهم شرع الله من الخليفة.

من هنا كان الحاكم يخضع لشرع القاضى - الذى هو شرع الله - بلا توانى أو ضجر أو فتور.

لقد رأى العز فى نائب السلطنة أهتمامه بالغناء اكثر من اهتمامه

بتسليح الجيش واعداد العدة لصد الأعداء - كما أمر الله تعالى:
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(١)

وهذا النائب جعل محط اللهو، والغناء والعبث فوق مسجد لله تعالى وفى ذلك مافيه، من إهدار حرمة بيوت الله، والتشويش على المصلين والقانتين والركع السجود.

والمساجد لا يملكها أحد، ولا يستطيع أن يحوزها إنسان مهما كان لأنها لله تعالى لا يشاركه فيها أحد.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٢)

العز بن عبد السلام وعرضه أمراء المماليك للبيع فى سوق الرقيق

علم سلطان العلماء: أن بعض الأمراء لا يزالون تحت الرق، وهم مع ذلك يتصرفون فى البيع والشراء، وتصريف أمور الدولة، وغير ذلك، وهذا يخالف شرع الله تعالى لأن الرقيق ليس أهلاً للتصرف، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. إذن لابد من بيعهم لرد الحقوق لبيت المال. ،وليس هناك من وسيلة غير البيع. . . ؟؟.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠

(٢) سورة الجن آية رقم ١٨

وعندما بلـغ الأمر ذلك. عظم الخطب عليهـم وخصوصًـا بعد أن أصدر العز قراره بمنعهم من البيع والشراء وإتمام عقود النكاح. ؟

عندها تعطلت مـصالحـهم، وتوقفت أعـمالهم. وكان من جـملة هؤلاء الأمراء نائب السلطنة. فأستشاط غضبًا.

فأجتمعوا وأرسلوا إليه ماذا تريد.. ؟

قال الشيخ: نعـقد لكم مجلسًا وينادى عليكم بالبـيع لحساب بيت المال. وعندها يحصل عتقكم بطريق شرعى.

فازدادوا غيظًا وحقدًا، ورفعوا أمرهم إلى السلطان..؟؟

فبعث إليه السلطان يطالبه بالرجوع عن قراره.

ولكن متى كان لهؤلاء الرجال قرار..؟

إن ما يطالب به هو حكم الشرع..؟

وشرع الله يجب أن يطبق - على الخـلق جميعًـا لا فرق فى ذلك بين عبد وحر، وأمير أو غير أمير، ملك أو أجير.

ونذكـر فى ذلك حديث الرسـول - صلى الله عليـه وسلم - مع أنس عندما اراد أن يتشفع فى حد من حدود الله.

فقال عليه السلام: إن من كان قبلـكم كان إذا سرق فيهم الضعيف أقامـوا عليه الحـد، وإن سرق فيـهم الشريف درأوا عنه الحـد. ثم قال عليه الـسلام: والله لو أن فاطمـة بنت محـمد سـرقت لقطع محـمد يدها.» ومع ضغط الأمراء على السلطان. جرت على لسانه كلمة فيها غلظة حاصلها. الإنكار على الشيخ فى دخوله فى هذا الأمر، وأنه لم يتعلق به.

فغضب الشيخ وخرج مع أسرته قاصداً الشام.

وما كادت الرعيه - تعلم بخروج الشيخ حتى لحق به غالب المسلمين من الرجال والنساء. والشباب والكهول. لاسيما العلماء والصلحاء والتجار وغيرهم.

وبلغ خروج العز بن عبد السلام إلى السلطان.

وقيل له: إن ذهب الشيخ ذهب معه ملكك.؟؟

فركب السلطان: بنفسه ولحقه، وأسترضاه، وطيب قلبه. فرجع.

رجع الشيخ بعد أن أملى شروطه على السلطان وهى:

أن يجتمع الأمراء فى سوق الرقيق وينادى عليهم. ثم ترد اموال البيع إلى بيت مال المسلمين.

ثم ماذا.. يمنحهم المشترون الحرية. إن رغبوا فى ذلك..؟؟

وحاول نائب السلطنة أن يجد طريقًا لاسترضاء الشيخ، أو وسيلة غير العرض والبيع ولكنه فشل فى ذلك.

عندها استشاط النائب غضبًا. وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض..؟

ثم دبر أمرًا وقال: والله لأضربنه بسيفى هذا..

وعندما أرخى الليل سدوله: أنطلق النائب ومعه جمع من الأمراء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول فى يده.

ثم طرق الباب. فـفتح له ابن الشيخ. فـرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه وشرح له الحال.

ولكن الشيخ لم يكترث لذلك ولا تغير.

وقال : ياولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله.

ثم: إن لكل أجل كتاب وقد قال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾[1]

ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة. فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها.؟؟

فبكى النائب: وسأل الشيخ أن يدعو له. ثم قال: سيدى الشيخ: خير أيش تعمل..؟

قال الشيخ: أنادى عليكم وأبيعكم..؟

قال: ففيم تصرف ثمننا..؟

قال: فى مصالح المسلمين.

قال من يقبض الثمن.

قال الشيخ: أنا.. وتم له ما أراد، ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا، وغالى فى ثمنهم، وقبضه وصرفه فى وجوه الخير..؟؟

إن العز بن عبد السلام: خاف الله تعالى. وعمل على تطبيق شرعه، فخافته الملوك والسلاطين. وخضعوا له. وإلتزموا بما أمرهم به وصدق ربى فى قوله:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

يقول الباجى رحمه الله: طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة مركز الحكم.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥ (٢) سورة آل عمران آية رقم ٢٦

فشاهد العسكر مصطفين بين يديه. والسلطان فى أوج أبهته وعظمته وقد خرج على قومه فى زينته على عادة سلاطين الديار المصرية.

وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدى السلطان. وما كاد الشيخ يرى كل ذلك حتى إلتفت إليه وناداه: يا أيوب..؟ ماحجتك عند الله إذا قال لك:

«ألم أبوىء لك ملك مصر» ثم تبيح الخمور..؟؟

فقال: هل جرى هذا..؟

قال الشيخ نعم. الحانة الفلانية يباع فيها الخمور..؟؟ وغيرها من المنكرات؟؟ وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة..؟؟

هكذا ينادى الشيخ العملاق. حاكم الدولة - باسمه فقط دون ألقاب أو أحترامات. والعساكر واقفون. يفعل ذلك مع الملك وهو وجنوده فى حصن حصين - من الجنود والسلاح والأنصار وغيرهم.

ويقول الحاكم: ياسيدى: هذا أنا ماعملته، هذا من زمان أبى - ويرد عليه الشيخ بغلظة واستهتار:

أأنت من الذين يقولون ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾[1]

ولم يخلص الحاكم من يدى الشيخ إلا بعد أن أصدر فرمانًا بأغلاق هذه الحانة..؟؟

يقول الباجى: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان، وقد شاع هذا الخبر.. ياسيدى كيف الحال..؟

(١) سورة الزخرف آية رقم ٢٣

قال: يابنى رأيته فى تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه. ؟؟

فقلت: ياسيدى أما خفته. . ؟

فقال: والله يابنى لقد أستحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان أمامى كقط مستأنس. . ؟؟

ثم ماذا. . ؟ لكل أجل كتاب، ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[1]

ويموت العز بن عبد السلام. وتلك هى النهاية لكل حى، كما قال تعالى:

﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾[2]

ولما مرت جنازة الشيخ عز الدين تحت القلعة - وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين يسيرون خلفها قال لبعض خواصه.

«اليوم استقر أمرى فى الملك»

لأن هذا الشيخ لو قال للناس أخرجوا عليه لاتنزع الملك منى

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ماقدم من خير للإسلام والمسلمين

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٣٤ (٢) سورة الزمر آية رقم٣٠

الشيخ شمس الدين الديروطى والسلطان الغـورى

دخل الشيخ الديروطى[1] فى أحد الأيام مجلس السلطان الغورى[2] وبادر الشيخ بإلقاء تحية الإسلام على السلاطان، ولكن السلطان أخذته العزة بالإثم فتجاهل الشيخ وتجاهـل تحيته وكان يمكن أن يعود الشيخ من حيث أتى، ويقاطع مجلسه فلا يذهب إليه.

ولكن الرجل الذى تربى فى مـدرسة الإسلام أبى مـغادرة المجلس حتى يلقن هذا السلطـان - الذى يتحكم فى رقاب العبـاد - درسا لا يمكن أن ينساه.

---

(١) شمس الدين الديروطى ، واعظ زاهد ، كان بالجامع الأزهر ـ أيام السلطان الغورى ، وكان جريئًا على السلطان عنيـفًا فى وعظه ، متعففًا عن عطائه يعـيش من تجارته توفى بدمياط ٩٢١ هـ له كتاب القاموس فى الفقه وشرح منهاج النووى .

[راجع خطط على مبارك ١٢ ـ ٦]

(٢) قانـصوص بن عبـد الله الظاهرى الغـورى ، سيف الدين الملقب بالملـك الأشرف ، سلطان مصـر بويع بالسلطنة بقلعـة الجبل فى القاهرة ٩٠٥ هـ وبنى الآثار الـكثيرة وكـان ملمًا بالموسيقى والأدب، شـجاعًا داهية وقصـده السلطان سليم الأول بجيش جرار فمات قـهرًا عام ٩٢٢ هـ [راجع السنا الباهر، وإعلام النبلاء ٣ : ١٢٢]

فقال الشيخ: إن لم ترد السلام فسقت وعزلت.

فقال السلطان: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم قال السلطان:

(لماذا تهاجمنا على ترك الجهاد، ومقاتلة الأعداء وليس لنا مراكب نجاهد المعتدين عليها..؟)

فقال الشيخ: بل عندك المال الذى تجهزها به.

فطال بينهما الكلام.

فقال الشيخ: قد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان، أما تذكر حين كنت نصرانيا ثم أسروك، وباعوك من يد إلى يد، ثم منَّ الله عليك بالحرية والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطانا على الخلق..؟ وعن قريب يأتيك المرض الذى لا ينجح فيه طبيب، ثم تموت، وتكفن، ويحفرون لك قبراً مظلمًا، ثم يدسون أنفك هذا فى التراب، ثم تبعث عريان عطشان جوعان، ثم توقف بين يدى الحكم العدل الذى لا يظلم مثقال ذرة، ثم ينادى المنادى: من كان له حق على الغورى فليحضر. فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله.

فتغير وجه السلطان من كلامه، وأوشك أن يختل عقله ولم يجد أمامه من حيلة سوى أن يعرض على الشيخ مبلغا من المال هو عشرة آلاف دينار يشترى بها سكوته وصمته على مخازيه، وسلبه حرية الشعب وأمواله، وجبنه عن مواجهة الأعداء.

ولكن الرجل الذى يجابه السلطان بكلمة حق، محال أن تخدعه عروض الدنيا أو يغريه بريق الذهب فردها عليه قائلا: أنا رجل ذو

مال، ولا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنت محتاجا لأجل الجهاد، لأجل تجهيز الجيش، من أجل الدفاع عن الإسلام، أقرضتك وصبرت عليك.

يقول راوى الحديث: فما رئى أعز من الشيخ ولا أذل من السلطان فى ذلك المجلس.

ويتكاسل الغورى عن الجهاد

ويتباطأ فى إعداد العدة، ويهمل قول ربه: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾[1].

ويأتى الجيش العثمانى بعدته، وعتاده ويستولى على مصر، ويطلب القائد المنتصر من أعيان الأمة وعلمائها وقوادها أن يأتوا إليه فى القلعة مركز الحكم لتقديم فروض الولاء والطاعة.

هرع الجميع إليه يتزلفون، ينافقون، ويقدمون الولاء والطاعة.

ولكن رجلاً ممن تربوا فى مدرسة القرآن، وتشربوا روح الإسلام، ونهلوا من ينابيع الإيمان يرفض هذا الطلب، ويمتنع عن الذهاب إلى القائد المنتصر، ويطلبه القائد ويلح فى الطلب، ولكن الرجل الربانى يرفض ويصر على الرفض، ولم يجد القائد المنتصر من وسيلة إلا النزول إليه، نزل الحاكم وحاشيته، نزل القائد المنتصر وأركان حربه،

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠

وخضع الجميع لرأى هذا الرجل، ويقول القائد للرجل الربانى: لما لم تأت إلينا..؟

ويرد الرجل المؤمن: (لم نتعود الخروج إلى أحد).

ويطول الصمت بين الرجلين ، ويحس القائد المنتصر بضآلته أمام هذا الرجل، يحس بأن نصره وصولجانه وجنوده، لا تساوى شيئا أمام كلمة . ضيا يسمعها من هذا الرجل.

ويقول له: يا سيدى ألك حاجة نقضيها لك قبل أن نذهب إلى تركيا..؟

ويرد عليه الرجل المؤمن: (لسنا فى حاجة إلا إلى الله سبحانه وتعالى).

ويعود القائد من حيث أتى ويترك مصر، ويعود إلى بلده، ولكن خمرة النصر لم تنسه هذا النموذج من الرجال ويكلف واليه فى مصر أن يذهب إلى العالم الجليل ليتفقد شئونه ويحقق مطالبه .

ولكن متى كان لأولياء الله مطالب..؟

متى كان لهؤلاء الرجال حاجة إلى غير الله..؟

ويذهب الوالى الجديد إلى منزل الرجل الربانى ويقول له: إننا أزمعنا الرحيل إلى تركيا ونحن مقربون إلى السلطان فهل من حاجة نقضيها لك من سلطان البلاد..؟

ويرد الرجل الربانى: (إننا مقربون إلى الله أكثر فهل لك أنت حاجة..؟)

المقربون إلى الله كيف يطلبون من هؤلاء الضعفاء وأمامهم الطرق مفتحة إلى مالك الملك ، والذى يعطى عباده بلا مَنٍ ولا تقتير . إذا ما إلتجؤا إليه وطلبوا منه ولهذا قال لهم فى محكم كتابه :﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[1] وقال أيضًا : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[2]

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠ (٢) سورة البقرة آية رقم١٨٦

الإمام الشافعى متهما بمحاولة قلب نظام الحكم أمام هارون الرشيد فى مجلسه

قبض على الإمام الشافعى[1] ـ رضى الله عنه ـ بتهمة أنه يوالى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، ليكون خليفة للمسليمن.

فلما أدخل الشافعى مقيدا إلى هارون الرشيد فى مجلس الحكم. قال الشافعى:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال الرشيد: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، بدأت بسنة لم تؤمر بإقامتها، ورددنا بفريضة قامت بذاتها.

(١) هو محمد بن إدريس الشافعى أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية ولد فى غزة (بفلسطين) عام ١٥٠ هـ وحمل منها إلى مكة وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفى بها عام ٢٠٤ هـ من أشهر كتبه « الأم » .

[راجع تذكرة الحفاظ ١ : ٣٢٩ وتهذيب التهذيب ٩ : ٢٥]

ثم تابع الرشيـد قوله: من العجيب أنك تتكلم فى مجلسى بغير إذنى وأمرى..؟

فقال الشافعى: إن الله تعالى قال:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي ﴾[1].

وهو الذى إذا وعد وفىّ

فقد مكنى فى أرضه.

وأمننى من بعد خوفى.

ثم تابع حديثه قائلا: يا أمير المؤمنين. قد حُدثت أنك لا تقتل قومك صبراً، ولا تمكر بهم إذا أقاموا لديك عذراً.

قال الرشيد: هو كذلك. فما عذرك بعد ما ظهر أن صاحبك لما بغى علينا واتبعه الأرذلون: كنت رئيسًا لهم..؟؟

قال الشافعى: أما وقد استنطقتنى فسأتكلم على العدل والإنصاف، وأقول لك إن الكلام مع ثقل الحديد صعب، فإن جدت على بفكه من قدمى، بركت على ركبتى، كسيرة آبائى عند آبائك وأفصحت عن نفسى.

وإن كانت الأخرى فيدك العليا، والله غنى حميد.

فقال الرشيد لغلامه: ياسراج. خل عنه، فأخذ مافى قدميه من

(١) سورة النور آية رقم ٥٥

الحديد، فجثا الشافعى على ركبته وقال:

«. . . يا أمير المؤمنين. . والله لأن يحشرنى الله تحت راية عبدالله ابن الحسن[1] وهو كما علمت وشيج قرابة لأبيك. . لاتنكر عند اختلاف الآراء، أحب إلىّ والمسلمين من أين يحشرنى تحت راية قطرى بن الفجاءة المازنى[2] الخارجى.

وكان الرشيد متكئًا، فاستوى جالسا وقال: صدقت وبررت، لأن تكون تحت راية رجل من أهل بيت رسول الله - ﷺ - خير من أن تكون تحت راية رجل خارجى طغى وبغى.

لكن ما حجتك علىَّ أن قريشا كلهم أئمة وأنت منهم. .؟

فقال الشافعى: قال الله تعالى: ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[3]

لقد أفك المبلغ وفسق وأثم.

يا أمير المؤمنين. . إن لى حرمة الإسلام وذمة النسب، وكفى بهما وسيلة وأحق من أخذ بأدب الله ابن عم رسول الله - ﷺ - (الذاب

---

(١) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى أبو محمد تابعى من أهل المدينة ولد عام ٧٠ هـ كانت له منزله عند عمر بن عبد العزيز ، حبسه المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه محمد وإبراهيم ونقله إلى الكوفة فمات سجينًا فيها عام ١٤٥ هـ . [راجع الإصابة ت ٦٥٨٧]

(٢) قطرى ابن الفجاءة : من رؤساء الأزارقة والخوارج وأبطالهم من أهل قطر كان خطيبًا فارسا شاعرا. ولى أمر العراق نيابة عن أخيه عبدالله وبقى ثلاثة عشر سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين.

(٣) سورة الحجرات - آية رقم ٦

عن دينه، المحامى عن أمته).

قال: فتهلل وجه هارون ثم قال: هدىء من روعك فإنا نراعى حق قرابتك وعلمك وأمره بالقعود.

ثم قال: كيف علمك بكتاب الله تعالى..؟

فقال الشافعى: عن أى كتاب الله تسألنى..؟

فإن الله تعالى أنزل كتبا كثيرة على الأنبياء ، أنزل الله مائة وأربعون من الكتب. أنزل على آدم خمسين صحيفة ، وعلى شيث عشرين، وعلى إدريس عشرين، وعلى إبراهيم عشرة، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد - ﷺ - وجمع فى القرآن كل ما فى سائر الكتب. قال الله تعالى:

﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[(١)]

وقال: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾[(٢)]

قال الرشيد: أحسنت فى تفصيلك. ولكنى ما سألت إلا عن كتاب الله المنزل على بن عمى وعمك رسول الله - ﷺ -.؟

قال الشافعى: إن علوم القرآن كثيرة.

تسألنى عن محكمه أو متشابهه..؟

وعن تقديمه أو تأخيره..؟

وعن ناسخه أو منسوخه..؟

أو عما ثبتت تلاوته وارتفع حكمه..؟

---

(١) سورة النحل - آية رقم ٨٩

(٢) سورة هود - الآية رقم ١

أو عن مكيه أو مدنيه.. أوليله أو نهاره..؟

أو فى سفره أو فى حضره..؟

أو تنسيق وضعه أو تسوية سوره..؟

أو نظائره أو عن إعرابه..؟

أو وجوه قراءاته أو عدد حروفه..؟

أو معانى لغاته، أو عدد آياته..؟

قال: مازال الشافعى يعدد هذه العلوم ، حتى عد ثلاثة وسبعين نوعا من أنواع علوم القرآن.

فقال هارون: لقد أوعيت من القرآن علمًا عظيمًا.

فقال الشافعى: المحنة على الرجل العالم، كالنار على الذهب الإبريز.

ثم قال الرشيد: فكيف بصرك بسنة رسول الله - ﷺ -..؟

فقال الشافعى: « إنى لأعرف منها ماخرج على وجه الإيجاب فلايجوز تركه. وما خرج على وجه الحظر فلا يجوز فعله. وما خرج على وجه الخاص فلا يشاركه فيه غيره، وما خرج على وجه العموم فيدخل فيه غيره. وما خرج جوابا عن سؤال سائد، فليس لغيره استعماله. وماخرج من النبى - ﷺ - لازدحام العلوم فى صوره. ومافعله النبى - ﷺ - فيقتدى به غيره.

فقال الرشيد: أجدت الترتيب يا شافعى ، لسنة رسول الله - ﷺ - ووضعت كل قسم فى مكانه الخاص.

فقال الشافعى: « ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس».

فقال الرشيد: فكيف بصرك بالعربية..؟

قال الشافعي: هي ميداننا، طباعنا بها تقدمت، وألسنتنا بها جرت، ولقد ولدت وما أعرف اللحن، فكنت كمن سلم من الداء فلم يحتج إلى الدواء، والقرآن يشهد لي بذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[1]

وأنا وأنت منهم يا أمير المؤمنين فالعنصر رصيف والجرثومة منيفه، أنت أصل ونحن فرع.

قال الرشيد: صدقت - بارك الله فيك.

فكيف معرفتك بالشعر..؟

قال الشافعي: إني لأعرف الجاهلي والمخضرم والمحدث، واعرف طويله وكامله وسريعه، مجتثة ومنسوخة، وخفيفة وهزجة وزجرة وحكمته وغزله، وما ذكروه في الأمثال والمراثي، والمدائح والنسيب، وأروى المشهود والشاذ، وما به المكارم وما شحد بصيرة الصارم.

قال الرشيد: فكيف علمك بالنجوم..؟

قال الشافعي: أعرف الفلك الدائر، والنجم السائر، والقطب الثابت والترابي والهوائي والناري، وما كانت العرب تسميه الأنوار، ومنازل النيرين والرجوع والإستقامة، والسعود والنحوس، وهيئاتها وطبائعها وما اهتدى به في بحر وبر، ومايستدل به على أوقات الصلوات، وأحوال الفصول والأوقات.

قال الرشيد: فكيف علمك بالطب..؟

---

(١) سورة إبراهيم - الآية رقم ٤

قال الشافعى: أعرف ما قالت الروم مثل «ارسطاطاليس» و«ابقراط» و«جالينوس» و«فرفوريوس» و«دانبذفليس» بلغتها وما نقله أطباء العرب وفتقته فلاسفة الهند ونمقته علماء الفرس مثل «جاماشب» و«شاهردور» و«بزرجهر».

قال الرشيد: فكيف علمك بالأنساب..؟

قال الشافعى: يا أمير المؤمنين ذاك علم، لم يسعنا جهله مع تخبط الجاهلية وذهاب الحق، ليكون عونا على التعارف، ومعرفة الأكفاء، إنى لأعرف جماهير الأقوام، وأنساب الكرام، ومآثر الأيام، وفيها نسبة أمير المؤمنين ونسبتى، ومآثر آبائه وآبائى.

قال: وكان هارون الرشيد متكئًا، فلما سمع من الشافعى هذه الكلمات استوى جالسا وقال: يا ابن إدريس. «لقد ملأت صدرى، وعظمت فى عينى. فعظنى موعظة أعرف بها مقدار علمك وكنه فهمك..؟

نصيحة الشافعى لهارون الرشيد

فقال الشافعى: على شريطة يا أمير المؤمنين.

قال هارون: هى لك فما هى.. ؟

قال الشافعى: طرح الحشمة[١]، ورفع الهيبة[٢]، وإلقاء رداء الكبرياء عن منكبيك[٣]، وقبول النصيحة، وإعظام حق الموعظة، والإستجابة لها، وبشرط أن تقيس نفسك، ونشر سرك بين يدى ربك[٤].

فقال الرشيد: قد فعلت مثل ماقلت. فعظ وأوجز.. ؟

فجلس الشافعى - وحسر عن ذراعيه، وجثا على ركبتيه ثم أشار إليه وقال:

---

(١) طرح الحشمة : ترك الاستحياء.

(٢) التواضع مع الرعية.

(٣) لتكون أخا للمسلمين.

(٤) والله لاتخفى عليه خافية.

« إنه من أطال عنان الأمن فى الغرة[1] طوى عنان الحذر فى المهلة ومن لم يعول على طريق النجاة كان بمنزلة قلة الاكتراث من الله مقيما، وصار فى مأمنه، مثل نسيج العنكبوت لا يأمن على نفسه، ولايضىء له ما أظلم عليه من أمسه وأما لو اعتبرت بما سلف، واستقبلت بالحسنى المؤتنف[2]، ونظرت ليومك وقدمت لغدك وقصرت أملك، وصورت بين عينيك عملك واستقصرت مدة الدنيا وتوجهت إلى مايصلح حالك فى العقبى لما امتدت إليك يد الندامة ولا ابتدرتك الحسرات غداء فى القيامة ولكن ضرب عليك الهوى أوراق الحيرة، فإذا بدت لك موعظة لم تكد تراها.. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ..﴾[3].

قال: فبكى هارون الرشيد كثيرا وارتفع صوته..

فقال بعض الحاضرين: يا هذا اسكت فقد أبكيت أمير المؤمنين.

فنظر الشافعى إليهم مغضبا وقال: «ياعبيد الرجعة»[4]، وأعوان الظلمة، الذين باعوا أنفسهم بمحبوب الدنيا الفانية، وآرثوا عذاب الآخرة الباقية، أما رأيتم من كان قبلكم كيف استدرجوا بالإملاء[5] ورفهوا بتواتر النعماء، ثم أخذوا أخذ عزيز مقتدر، أما رأيتم كيف

---

(١) الغرة – بالكسر – الغفلة يطالبه باليقظة والحذر.

(٢) المؤتنف : ما تأتى به الأيام.

(٣) سورة النور – الآية رقم ٤٠

(٤) أى عبيد الملذات والمطعومات التى تصير رجيعا، والرجيع الروث وذو البطن .

(٥) الإملاء : أى التمهل والترقب قال تعالى «واملى لهم إن كيدى متين».

فضح الله مستورهم وأمطروا بأصناف الهوان عليهم فأصبحوا بعد سكنى القصور، والنعمة الحبور بين الجنادل والصخور، وأفناء القبور عرضًا للدثور[١].

ومن وراء ذلك وقوف بين يدى الله تعالى وسائله عن الخطرة، وما هو أخف من الذرة حصائد النقم، ومدارج المثلات، ونهبة الخوف والورعات.

فكن لله في اليوم، كما تحب أن يكون الله لك فى الغد، فإنه ماولى أحد أمر عشرة - من الناس - إلا جاء يوم القيامة، ويداه مغلولتان إلى عنقه لايفكهما إلا عمله، وأنت أعرف بنفسك.

فعظم بكاء الرشيد هنا. ثم قال: قدك[٢] يابن أدريس، فقد سللت علينا لسانك، وهو أمضى من سيفك.

فقال الشافعى: هو لك يا أمير المؤمنين إن قبلت - لا عليك..؟

فقال الرشيد : زدنى .

فقال الشافعى: أن تتفقد حرم الله وحرم رسوله بالعمارة، وتؤمن السبيل، وتنظر فى أمر الأمة، وتعطى أولاد المهاجرين والأنصار حقهم من الفىء لئلا تزعجهم الحاجة عن أوطانهم، وتنظر فى العامة وأهل الثور[٣]، وتبذل العدل والنصيحة، وتتخذ أهل العلم والورع شعارا وتشاورهم فيما ينوب، وتعصى أهل الريب، ومن يزين لك قطع

---

(١) الدثور : الفناء والبلاء.

(٢) قدك : أى توقف وتمهل علينا.

(٣) يقال : ثور فلان الشر تثويرًا أى الذين يهيجن ويعلون الفتنة.

ما أمر الله به أن يوصل.

قال الرشيد: ومن يطيق ذلك.. ؟

قال: من تسمى باسمك وقعد مقعدك.

قال الرشيد: قد أمرت لك بصلة فاقبلها.

قال الشافعى: كلا، والله لا يرانى ربى قد سودت وجه موعظتى بقبول الجزاء عليها، ولقد عاهدت الله تعالى عهدا أن لا أخلى ملكا من الملوك - يكون فى غفلة - إلا ذكرته بالله.

ثم إن الشافعى دخل بعد ذلك على الرشيد، فأمر له بألف دينار فقبلها.

فضحك الرشيد: وقال: ما أفطنك. قاتل الله عدوك.

فلما خرج الشافعى: أمر الرشيد غلامه «سراجا» بإتباعه حتى يرى مايفعل الشافعى.. ؟

قال: فجعل الشافعى: يفرق ذلك الذهب قبضة قبضة حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة فدفعها إلى ذلك الغلام. وقال: انتفع بها.

فرجع الغلام إلى الرشيد وأخبره بما رأى.

عملاق من عمالقة بيت النبوة - وعالم من علماء الأمة - الأمة التى وصفها الله تعالى: بأنها خير أمة أخرجت للناس.

يدخل إلى دار الحكم ويجلس بين يدى الخليفة متهمًا بأخطر التهم وهو خلع الخليفة، والدعوة إلى تولية خليفة غيره. ولايشك أحد فى أنه لايخرج من مجلسه هذا إلا جثة هامدة لتوارى تحت التراب.

ويجابهه الخليفة بالتهمة المنسوبة إليه وهى: الدعوة إلى خليفة غيره.

ولكن العالم لم يضعف ولم ينكر. بل جابه الحاكم بكلمة حق وصدق، ودعاه إلى قبول النصيحة، والعمل بها. والتثبت من الأخبار التى تصل إليه. إعتمادا على قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[1]

واستطاع هذا العالم الجليل أن يحرك فى داخل الخليفة خصائص التقوى والإيمان عندما ذكره بوشيجة النسب التى تربطه ببيت النبوة.

ثم ماذا يخرج العالم من مجلس الحاكم مرفوع الرأس ثابت الجنان تحوطه عناية الله تعالى وإعجاب الخليفة به وسعيه الحثيث لمرضاته.

فهل يمكن أن يوجد فى عصرنا أمثال هؤلاء العلماء.. ؟

نرجو من الله ذلك ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

(١) سورة الحجرات آية رقم ٦.

سلطة الأمة فى الرقابة على أعمال الحكام

الإسلام دين عام للناس كافة، وعقيدة ارتضاها الله سبحانه وتعالى ختامًا لرسالاته، واصطفاها لتصنع على أعين الناس.

الناس الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1].

وحينما جاءت أنظمة الإسلام وشرائعه، جاءت كليات عامة تصوغ روح الأشياء وتبدع قاموسها. ثم تترك للناس التطبيق والتنفيذ بما يلائم حياتهم، ويحقق مصالحهم، ويكفل سعادتهم وقوتهم.

والحكم فى الإسلام: عقد بين متعاقدين بين الحاكم من جهة وبين الرعية من جهة أخرى، وهو من قبيل التعاون على البر والتقوى. ولأن الحياة الإنسانية فى كل صورها لاتقوم إلا بالتعاون، ولاتستقيم إلا بهذا النظام.

(١) سورة آل عمران - الآية رقم ١١٠

والأمة الإسلامية - فى حقيقتها - هى مصدر السلطات وليس للملوك ولا الرؤساء فى الدولة الإسلامية من الأمر إلا ماتريده الأمة وترضاه.

فهى التى تقيم الدولة، وهى التى تنظمها، وهى التى تختار أولياء الأمر فيها، وهى التى تقدر مصالحها، وتدرأ مفاسدها وليس الحكام إلا وكلاء عن مجموع الشعب يستمدون سلطانهم منهم.

فالحاكم ليس شخصًا مقدسًا حاكمًا بأمره، وليس وارثًا للملك، ولا مهيمنًا على عقائد الناس وقلوبهم، إنه طرف فى عقد ليقوم بأعمال الوكالة باسم المجموع.

يقول الإمام بن حزم رحمه الله:

«البيعة من قبيل التعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالمتتبع لأخبار الخلفاء الراشدين يجد أن البيعة كانت أساس الاختيار، وأنها كانت العقد الذى يعقد بين الإمام والأمة، وهو عقد موثق بالإيمان يجعل على كلا الفريقين التزامًا دقيقًا يجب عليه تنفيذه والقيام بحقه، ويلزم الإمام بإقامة كتاب الله وسنة رسوله، ويلزم الأمة بالسمع والطاعة فى المنشط والمكره مالم يكن عصيانًا لأمر الله ونهيه، فإن كان عصيانًا فلا سمع ولا طاعة»[1].

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[2].

(١) ابن حزم للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٤٨ (٢) سورة المائدة - الآية رقم ٢

وإذا كان هذا موقف الإمام ابن حزم فيما يكون بين الحاكم والمحكومين فإن الإمام ابن تيمية فى كتابه «السياسة الشرعية» يرى أن الحكم أمانة وأن آية الأمراء فى القرآن هى قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(٢).

قال العلماء: «نزلت الآية الأولى فى ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، فإن خانوا الأمانة سلبت منهم الولاية. ونزلت الآية الثانية فى الرعية، عليهم أن يؤدوا أمانة الطاعة، إلا أن يؤمروا بمعصية، فإذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

والفيصل الحكم، والميزان القسط بين الحاكم والرعية - هو كتاب الله تعالى، وسنة رسوله الكريم، فإذا اختلف بين طرفى الأمانة، ردوا الخلاف إلى الكتاب والسنة ليفصلا بينهما، وعليهما السمع والطاعة»(٣).

---

(١) سورة النساء - الآية رقم ٥٨ (٢) سورة النساء - الآية رقم ٥٩

(٣) السياسة الشرعية - لابن تيمية.

وإذا كان الحاكم - فى رأى العالمين الجليلين - فردًا من أفراد الأمة ووكيلا عنها ويستمد سلطانه منها، فإن الإمام محمد عبده رحمه الله له رأى أيضًا يوضح لنا فيه حقيقة خليفة المسلمين وموقف الرعية منه بقوله:

«الخليفة على المسلمين ليس بالمعصوم، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة، ولايخصه الدين فى فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزية ولايرتفع به إلى منزلة، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل، وكثرة الإصابة فى الحكم، فالأمة أونائب الأمة هو الذى تنصبه الأمة وهى صاحبة الحق فى السيطرة عليه، وهى التى تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها»[1].

وهكذا وضع الإسلام أسس الرقابة العامة التى تمكن الأمة من مراقبة الحكام والسيطرة على الأمور فى الدولة ومنع الانحراف والفساد قبل أن يزيد ويستفحل، وتتمثل هذه الأسس فى مجموعة من القواعد منها.

(أ) وجوب الشورى.

(ب) مسئولية ولى الأمر أمام الأمة.

(جـ) حرية الرأى ونقد الحكام - إذا أخطأوا، ومناصحتهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وتقتضينا طبيعة البحث أن نتناول هذه القواعد والدعامات السابقة بالتوضيح والتعليل.

---

(١) الإسلام والنصرانية : للشيخ محمد عبده

صور من
تطبيقات الرقابة

إن ماذكرناه من رقابة الأمة على أعمال الحكام ليس مجرد نصوص جامدة على الورق لم تخرج إلى حيز التنفيذ، بل إنها مورست فى عهود الحكم الإسلامى على اختلاف صورها من مجرد النصيحة إلى العزل والقتل وامتثل الحكام لها باعتبارها أساس من أسس الحكم الذى يقوم عليه النظام الإسلامى.

ولقد قام عامة المسلمين وخاصتهم، عالمهم وجاهلهم بهذا الواجب خير قيام.

من ذلك ما يروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - جاءته برود من اليمن فوزعها على المسلمين بالتساوى وحصل كل مسلم على برد، ثم بعد هذه الواقعة؛ وقف عمر يخطب وهو يلبس ثوبًا منها فقال:

«أيها الناس اسمعوا وأطيعوا».

فقام إليه رجل من المسلمين وقال: لاسمع ولاطاعة.

قال عمر: ولِمَ ذلك يا أخا العرب.؟

قال: لأنك استأثرت علينا.

قال عمر: بأى شيء.؟

قال: إن الابراد اليمنية لما فرقتها، وحصل كل واحد من المسلمين على برد منها، وكذلك حصل لك، والبرد الواحد يكفى الواحد منا، ونراك قد فصلته ثوبًا تامًا، وأنت رجل طويل القامة، فلو لم تكن قد أخذت أكثر منا لما جاءك منه ثوبًا.!!

فالتفت عمر إلى ابنه عبدالله وقال: ياعبدالله أجبه عن كلامه:

فقام عبدالله وقال:

«إن أمير المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردى ماتممه به.

فقال الرجل: أما الآن فقل نسمع ونطيع.

إن هذه الرقابة الواعية من أفراد الرعية تلحظ كل شيء وتراقب ما يحيط بها، حتى ثوب الحاكم لم يخل من تلك المراقبة.. وعندما يجدونه وهو الطويل يلبس ثوبًا كاسيًا مع علمهم أن الأثواب التى جاءت من اليمن لاتكفى إلا متوسطهم أوقصار القامة.. يرتابون فى نية الأمير ولايهدأ لهم بال، أويستريح لهم فكر حتى يتعرفون على حقيقة الأمر.. وعندما تتكشف لهم الأمور.. وتستقيم على الجادة.. تكون الإجابة ويكون السمع.. ويعودون إلى الحق ويفيئون إلى الصواب.. ويقولون للحاكم الذى كان موضع مساءلة من لحظات..

قل ياعمر الآن نسمع ونطيع.

لم يغضب الحـاكم من هذه المساءلة لأنها من حق الرعـية بل ومن واجبها وتعتبر آثمة إن قصرت فى آدائها.

ولم يتغاض المحكومين عن شيء يرون فيـه أن الحاكم قد قصّر فى أدائه.. أومَيّز نفسه عنهم بقطعة من ثوب..

انهم الرجـال الذين تربوا فى مـدرسـة الإسلام وعـبـوا من هدى القرآن.

وشيء آخر.. مـرَّ عمر - رضى الله عنه - بخـولة بنت ثعلبة فى أيام خلافته فقالت: قف ياعمر.

فدنا منها وأصـغى لها فقالت له: ايه ياعمر عـهدتك وأنت تسمى عميرًا، وأنت فى سوق عكاظ ترعى الـقيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعيـة واعلم انه من خاف الوعـيد قرب عليـه البعـيد، ومن خاف الموت خشى الفوت.

فقال الجارود - وكـان فى رفقة عمر - قد أكثـرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين.

فقال عمر: دعها أما تعرفها.؟

إنها خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التى سمع الله قولها من فوق سبع سـموات فعمر والله أحق أن يـسمعها مـشيرًا بذلك إلى قول الله تعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

﴿... يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1].

وليست هذه فحسب ولكن غيرها كثير. من ذلك:

أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خطب يومًا فقال لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية وان كانت بنت ذى القصعة - يعنى يزيد بن الحصين - فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال.

فقامت امرأة وقالت معترضة على ذلك - ما ذاك لك.

قال عمر: ولِم.؟

قالت: لأن الله تعالى قال:

﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2].

فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وهكذا كانت المرأة أيضا تشارك مشاركة فعالة فى صدر الإسلام فى واجب الرقابة، الرقابة على الحاكم والرقابة على الرعية.

فالأولى تذكر الحاكم بحياته الأولى، وكأنها خشيت على عمر أن يبطره الجاه، أوتنال منه زخارف الحياة فذكرته الموت، وبما هو كائن بعد الموت، حيث لاينفع الإنسان إلا ماقدم من عمل صالح.

والثانية أرادت أن تبين للحاكم الخطأ الذى يقع على الرعية من تقييد المهور فردته إلى الصواب وبيَّنت له منهج القرآن الكريم فى مثل هذه المسألة.

---

(١) سورة المجادلة - الآية رقم ١ (٢) سورة النساء - الآية رقم ٢٠

ولم يغضب الحاكم ولم يشعر مطلقًا أن هذا الشيء ينتقص من هيبة الحكم أو يقلل من قيمة الحاكم بين جماعة المسلمين.

إن التبعة التى يحملها الحاكم، ومسئولية الرعية وشئون الدولة ليست خاصة به وحده. ولكن المسلمين جميعًا شركاء فى تلك المهمة، فإذا انحرف الحاكم ولم تأخذ الأمة على يده أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾[1].

ويحدثنا أبو حامد الغزالى - رحمه الله - حديثًا مستفيضًا عن قيام المسملين بواجب الرقابة على حكامهم فيضع بين أيدينا هذه الواقعة فيقول:

«روى أن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - حبس عطاء الناس، فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال له:

«إنه ليس من كدك، ولا من كد أبيك ولا من كد أمك».

فقال معاوية - بعد أن سكن غضبه - صدق أبو مسلم إنه ليس من كدى، ولا من كد أبى، فهلموا إلى عطائكم.

وروى أيضًا أن أبا بكرة - دخل على معاوية فقال له:

«اتق الله يامعاوية، واعلم أنك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك، ولاتزداد من الدنيا إلا بعدًا ومن الآخرة إلاقربًا، وعلى أثرك طالب لاتفوته، وقد نصب لك علمًا لاتجوزه، فما أسرع ماتبلغ العلم، وما أوشك مايلحق بك الطلب، وإنا مانحن فيه زائل،

(١) سورة الأنفال - الآية رقم ٢٥

وفى الذى نحن إليه صائرون باقٍ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ودخل أعرابى على سليمان بن عبدالملك فقال تكلم يا أعرابى.

فقال: يا أمير المؤمنين إنى مكلمك بكلام فاحتمله - وإن كرهته - فإن وراءه ماتحب إن قبلته.

فقال: يا أعرابى أنا لنجود بسعة الاحتمال على من لانرجو نصحه، ولانأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه.؟

فقال الأعرابى: يا أمير المؤمنين، انه قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك فى الله تعالى، ولم يخافوا الله فيك، حرب الآخرة، سلم الدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليهم، فإنهم لم يألوا فى الأمانة تضييعًا، وفى الأمة خسفًا وعسفًا، وأنت مسئول عما اجترحوا، وليسوا بمسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبنًا من باع آخرته بدنيا غيره.

فقال له سليمان: يا أعرابى أما أنك سللت لسانك وهو أقطع سيفيك.

قال: أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لاعليك.

إن هذا الرجل - الذى هو من أفراد الرعية - وضع الحاكم أمام مسئولياته، وبصّره بعيوب الحاشية وما يفعلونه من وراء ظهره، فإن كان يعلم بذلك فهو مشارك لهم فيما يقترفونه من إثم، ومايجترحونه فى حق الرعية.

وإن كان لايعلم، فإن ذلك أيضًا لايعفيه من المسئولية.

المسئولية أمام ربه.

والمسئولية أمام نفسه.

والمسئولية أمام رعيته.

وقديمًا قال الشاعر العربى لأمثال هؤلاء الحكام الذين كانوا يتنصلون من المسئولية بحجة أن مايحدث مع الرعية، يحدث من وراء ظهره ولا علم له به نقول. قال لهم الشاعر:

إن كنت تـدرى فتلك مصـيبة وإن كنت لاتدرى فالمصيبة أعظم

ان ما حل بالمسلمين فى هذا العـصر الذى نعيش فيـه من انهزامهم فى كثير من معاركهم الحربية، والسياسية والفكرية، يرجع أولا وأخيرًا إلى فقر المجتمعات الاسـلامية من أمثال هؤلاء الرجال. الرجال الذين يكون لهم دور إيجابى فى الرقابة على أعمال الولاة والحكام والقارىء لتاريخ المسلمين، يجـد أن الرقابة على أعمال الحكام لم تقـتصر على مجرد النصيحة والشكوى من الحكام لتـغيير الحال، بل إن الأمر تعدى إلى إزالة المخالفـة باليد، وإن أدى الأمر إلى عـزل الولاة ومنعهم من مباشرة عملهم، وقتلهم ان استداعى الأمر.

والإمام الطبـرى يحدثنا فى تاريخه أن أهل البـصرة منعوا أمـيرهم المغيرة بن شـعبة من القيام بعمله وقـالوا له: لاتصل بنا، واتهموه فى خلقه ودينه.

وكـتبـوا إلى عـمر بن الخطاب - رضى الله عنـه - بذلك فعـزله واستقدمه مع الشهود وولى بدلاً عنه أبا موسى الأشعرى.

والذى فعله أهل البـصرة، فعله أيضًا أهل الكوفـة وطردوا أميرهم سعيد بن العاص ومنعوه من دخول البلاد لسوء سيرته فيهم وكتبوا إلى عثـمان - رضى الله عنه - إنا والله مـامنعنا عامـلك الدخول لنفـسد عليك عملك، ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه لنا فابعث إلينا من عمالك من أحببت. !!

ومن قبل سعيد بن العاص - كان الوليد بن عقبة واليًا على الكوفة فتقـدم وفد من أهلها إلى عثـمان - رضى الله عنه - يتهمـون واليهم بشرب الخمر ويطلبون عزله..

وتجمعت الأدلة لدى عثمان على إدانـة الوليد، فعزله وأحضره إلى المدينة وكلف الإمام على - رضى الله عنه - بأن يقيم عليه الحد.

فقال الإمام على - كرم الله وجهه - لعبد الله بن جعفر:

قم يا ابن أخى فنفذ فيه حد الشرب.

فأخذ السوط وجلده، وعثمان يعدّ عليه حتى بلغ أربعين فقال على - رضى الله عنه - أمسك يا ابن أخى. جلد رسول الله ﷺ فى الخمر أربعين.

وجلد أبو بكر أربعين.

وجلد عمر - رضى الله عنه - ثمانين وكل سنة.

وكان من رأى عـمر قـتل الإمام الظالم، فخطب يـومًا فقـال: أما والله لوددت أنى وإياكم فى سفـينة فى لجة البحر تذهب شـرقًا وغربًا فلن يعجز الناس أن يـولوا رجلاً منهم فإن استقـام اتبعوه، وان جنف قتلوه.

فقال طلحة: وما عليك لوقلت ان تعوج عزلوه. ؟

فقال: لا. القتل أنكل لمن بعده. !![1].

إن الأمة الإسلامية الآن فى حاجة ماسة إلى ابن خطاب جديد يعزل القائد فى أوج انتصاره ويقاسمه أمواله مادامت خمرة النصر قد قلبت موازينه فأسرف فيما أعطاه.

وإلى عثمان آخر لم تمنعه صلة الرحم أن يعزل أخاه عن ولاية الكوفة، ويقيم عليه حد الشرب فى الميدان العام.

وإلى حاكم من نوع فريد كعمر بن عبدالعزيز يحبس الولاة المعزولين حتى يدفعوا لخزينة الدولة آخر درهم أخذوه بغير حقه، أواستولوا عليه بطريقة غير مشروعة.

فمتى نعثر على أمثال هؤلاء الرجال..

متى يارب. ؟

---

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٣٠ ، وتاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٣١٣

سفيان الثورى
مع المنصور والمهدى

ذكر ابن السمعانى: أن المنصور[1] كان يبلغه عن سفيان الإنكار عليه فى عدم إقامة الحق فطلبه المنصور فهرب إلى مكة.

فلما حج المنصور بعث الخشابين أمامه وقال:

حيثما وجدتم سفيان فأصلبوه.

فوصل الخشابون إلى مكة ونصبوا الخشب.

فأتى الخبر بذلك وسفيان نائم ورأسه فى حجر الفضيل بن عياض.

ورجلاه فى حجر سفيان بن عينيه.؟؟

فقالا له خوفا عليه، وشفقة به.

فقام سفيان - ومشى إلى الكعبة والتزم استارها عند الملتزم ثم قال:

ورب هذه البنية لايدخلها يعنى المنصور.

فزلقت راحلته فى الجحون فوقع من على ظهرها. فمات لوقته.

فخرج سفيان وصلى عليه.

وعاش بعد المنصور فى راحة بال وهدوء نفس - حتى تقلد منصب الخلافة المهدى العباسى.

---

(١) هو عبد الله بن محمد أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب مقدمًا فى الفلسفة والفلك محبًا للعلماء ولى الخلافة بعد أخيه السفاح سنة ١٣٦ وهو بانى مدينة بغداد وهو والد الخلفاء العباسيين جميعًا توفى عام ١٥٨ هـ.
[راجع ابن الأثير ٥ : ١٧٢]

فكان يطلبه المهدى دائما ويتوارى منه.

وفى يوم من الأيام دخل سفيان[1] على المهدى، فسلم تسليم العامة، ولم يسلم عليه بالخلافة.

فأقبل عليه المهدى بوجهه طلق وقال:

ياسفيان تفر منا هاهنا وهاهنا. وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك..؟

وقد قدرنا عليك الآن.؟

أما تخشى أن نحكم فيك بهوانا..؟

فقال سفيان: إن تحكم فىَّ بحكم الآن. يحكم فيك ملك عادل، قادر يفرق بين الحق والباطل.

فقال الربيع: يا أمير المؤمنين. أتسمح لهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا..؟

إإذن لى أن أضرب عنقه.

عندها قال المهدى: اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلاأن نقتلهم.

فنشقى بهم ويسعدوا بنا..؟

اكتبوا عهده على قضاء الكوفة، بحيث لايعترض عليه فى حكم.

فكتب له العهد ودفع إليه. فأخذه وخرج. ثم رمى به فى دجلة وهرب فطلب فى كل بلد فلم يوجد.

حتى توفى بالبصرة متواريا سنة إحدى وستين ومائة - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(١) سبقت الترجمة له فى كلمة وافية قريبًا من هذا.

بين الخليفة أبى جعفر المنصور[1] والخضر عليه السلام

كان أبو جعفر المنصور: يخرج سرًا فيطوف بالبيت الحرام.

فخرج ذات ليلة سرًا. فبينما هو يطوف سمع قائلاً يقول:

«اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع..؟

فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ مسامعه، ثم رجع لدار الندوة، وقال لصاحب الشرطة:

إذهب إلى البيت وسترى رجلاً يطوف به فأتنى به.

فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلاً عند الركن اليمانى فقال:

«أجب أمير المؤمنين».

فلما دخل عليه قال:

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن على بن العباس أبوجعفر المنصور ٩٥ - ١٥٨ وثانى خلفاء بنى العباس ، وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، وكان مقدماً فى الفلسفة والفلك، محباً للعلماء، وهو بانى مدينة بغداد وجعلها دار ملكه، وزاد فى المسجد الحرام وعمل أول اسطولاب فى الإسلام، وكان بعيداً عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، توفى ببئر ميمون من أرض مكة محرماً بالحج ودفن فى الحجون بمكة ومدة خلافته ٢٢ عاماً راجع ابن الأثير ٥ : ١٧٢ والطبرى ٩ : ٢٩٢ - ٣٢٢

«ما الذى سمعتك آنفا تشكو إلى الله من ظهور البغى والفساد فى الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. . ؟

فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى.

فقال له: يا أمير المؤمنين إن الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله.

وامتلأت بلاد الله بذلك بغيًا وفسادًا أنت. . ؟

فقال المنصور: ما هذا أوقال ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الأرض فى قبضتى. . ؟

فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين: وهل دخل أحد من مطمع ما دخلك. . ؟

استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم.

واهتممت بجمع أموالهم.

واتخذت بينك وبين رعيتك حجابًا من الجص والآجر، وحجبة معهم السلاح. . ؟

وأمرت ألا يدخل إلا فلان وفلان. نفرًا استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك ثم لم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق. ؟؟

فلما رآك هؤلاء استخلصتهم لنفسك وأثرتهم على رعيتك تجمع الأموال ولا تقسمها. قالوا:

هذا قد خان الله ورسوله فما لنا لانخونه. ؟

فأجمعوا على أن لايصل إليك من أمور الناس إلا ما أرادوا.

فصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل عنهم. ؟؟

فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك قد أوقفت ببابك رجلاً ينظر فى مظالم الناس فإن كان الظالم من بطانتك. علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف به من وقت إلى وقت. فإذا جهد وظهرت أنت صرخ بين يديك.

عندها يضرب ضربًا شديدًا ليكون عبرة لغيره من المظلومين.

وأنت ترى ذلك ولاتنكر..؟؟

ولقد كان الخلفاء قبلك من بنى أمية إذا انتهت إليهم الظلامة أزيلت فى الحال ولقد كنت أسافر إلى الصين يا أمير المؤمنين.

فقدمته مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه. فأخذ فى البكاء..

فقال له وزراءه: ما يبكيك أيها الملك لا أبكى الله لك عينًا.

فقال: والله مابكيت مصيبة نزلت بى.

وإنما أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته..؟؟

ثم قال: إن كان سمعى قد ذهب فإن بصرى لم يذهب.

ثم أمر أن ينادى فى الناس ألا يلبس أحد ثوبًا أحمر إلا إذا كان مظلومًا.

وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أحدًا لابسًا ثوبًا أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه.

هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين فكيف لاتغلب رأفتك على شح نفسك بالمؤمنين..؟

وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله - ﷺ -.

يا أمير المؤمنين إنما تجمع المال لإحدى ثلاث:

إن قلت: إنما أجمع المال للولد..

فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنه، بل ربما مات فقيراً ذليلاً حقيراً.

ولا أخالك تجهل أنه قد يولد الطفل وليس له مال ولا على وجه الأرض من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه.

فلم يزل يلطف الله تعالى بذلك الطفل حتى يرزقه الله من حيث لايحتسب.

وأنت لست بالذى تعطى، وإنما الله هو المعطى.

وإن قلت: إنما أجمعه لمصيبة تنزل بى..؟؟

فقد أراك الله سبحانه وتعالى عبرة فى الملوك الذين خلوا من قبلك.

ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والسلاح حين أراد الله بهم ما أراد.

وإن قلت: إنما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها.

فوالله. ما فوق منزلتك إلا منزلة لاتدرك إلا بالعمل الصالح.؟؟

عندها بكى المنصور بكاءً شديداً ثم قال:

كيف أعمل والعلماء قد فرت منى.

والعّباد لم تقترب منى.

والصالحون من الرعية لم يدخلوا علّى..؟

فقال: يا أمير المؤمنين: افتح الباب وسرح الحجاب وانتصر للمظلوم.

ثم خذ من المال ما حلّ وطاب واقسمه بالحق والعدل.

وأنا ضامن أن من هرب منك سوف يعود إليك.

فقال المنصور: نفعل إن شاء الله.

ونقول: لقد صدق الشيخ فيما قاله للخليفة المنصور لأن الرزق من الله تعالى لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1]

والمال مال الله. والناس جميعًا مستخلفين فيه. لقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[2]

ويحدثنا التاريخ أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه مات وخلّف أحد عشر ولدًا. وبلغت تركته: سبعة عشر دينارًا.

كفن منها بخمسة دنانير.

واشتُرى له موضع القبر بدينارين.

وأصاب كل واحد من أولاده: تسعة عشر درهمًا.

ومات الخليفة هشام بن عبدالملك وخلف أحد عشر ابنا.

فورث كل واحد منهما ألف درهم.

يقول شاهد التاريخ: رأيت رجلاً من أولاد عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه - حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله.

ورأيت رجلاً من أولاد هشام بن عبدالملك يسأل لكي يتصدق عليه.

وهذا أمر عجيب فإن عمر وكّل أولاده إلى ربه فكفاهم وأغناهم من فضله.

---

(١) سورة الطلاق - الآية رقم ٢ - ٣ (٢) سورة الحديد - الآية رقم ٧

وهشام وكلّهم إلى دنياهم فأفقرهم مولاهم.

ولقد صدق ربى فى قوله:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾[1]

وقال الشاعر:

فرفقًا بالبنين إذا الليالى.

على الأولاد أوقعت العقابا.

ثم ماذا..؟ جاء المؤذنون فأذنوا المنصور بالصلاة فقام وصلى: فلما قضى صلاته قال: علىَّ بالرجل فلم يجدوه.

قال لصاحب الشرطة: علّى بالرجل الساعة..؟؟

فخرج يطلبه فوجده عند الركن اليمانى.

فقال له: أجب أمير المؤمنين.

فقال له: ليس إلى ذلك سبيل. ؟؟

فقال له: إذن يضرب عنقى. ؟

فقال الشيخ: لا ولا إلى ضرب عنقك من سبيل.

ثم أخرج من حقيبة كانت معه ورقًا مكتوبًا فقال خذه فإن فيه دعاء الفرج.

ومن دعا به صباحًا ومات من يومه مات شهيدًا.

ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدًا

وذكر أن له فضلاً عظيمًا وثوابًا جزيلاً.

رحم الله أسلافنا لقد ساروا على الجادة. فأصبحوا فى جنة عرضها السماوات والأرض فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

(١) سورة النساء - الآية رقم ٩

بين الحجاج الثقفى
وسعيد بن جبير
رضى الله عنه

يقال إن الحجاج بن يوسف الثقفى لما ذكر له سعيد بن جبير رحمه الله تعالى عليه، بعد قتل عبدالرحمن بن الأشعث، أرسل إليه قائدًا من الشام يسمى الملتمس بن الأحوص وكان معه عشرون رجلاً من أهل الشام، من خاصة أصحابه، فبينما هم يطلبونه إذ هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه؟

فقال الراهب: صفه لى، فوصفوه له فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدًا يناجى ربه تعالى بأعلى صوته. فدنوا منه وسلموا عليه فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليه السلام.

فقالوا له: إن الحجاج أرسل إليك فأجبه.

فقال: ولابد من الإجابة ؟

فقالوا لابد، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قام يمشى معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب.

فقال الراهب: يامعشر الفرسان أصبتم صاحبكم ؟

قالوا نعم.

فقال لهم: اصعدوا الدير فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك. وأبى سعيد رضى الله عنه أن يدخل الدير.

فقالوا: مانراك إلا تريد الهرب منا.

قال: لا ولكنى لا أدخل منزلَ مشرك أبدًا.

فقالوا: إنا لا ندعك فإن السباع تقتلك.

قال سعيد: فإن معى ربى سيصرفها عنى ويجعلها حرسًا حولى تحرسنى من كل سوء إن شاء الله تعالى.

قالوا: فأنت من الأنبياء ؟

قال، ما أنا من الأنبياء ولكنى عبد من عباد الله خاطىء مذنب.

قالوا له فاحلف لنا أنك لاتبرح فحلف لهم.

فقال لهم الراهب: اصعدوا الدير وأوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فإنه كره الدخول علىّ فى الصومعة فدخلوا وأوتروا القسى فإذا هم بلبوة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد بن جبير تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك، فلما رأى الراهب ذلك دخلت له فى قلبه هيبة، فلما أصبحوا نزلوا إليه فسأله الراهب عن شرائع دينه وسنن نبيه ﷺ فقرر له سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن إسلامه.

وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه. ورجليه

ويأخذون التراب الذى وطئه بالليل يصلون عليه ويقولون: ياسعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لاندعك حتى نشخصك إليه فمرنا بما شئت.

فقال سعيد: امضوا لشأنكم فإنى لائذ بخالقى ولا راد لقضاء ربى، فساروا حتى وصلوا إلى واسط فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد رضى الله عنه.

يامعشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلى قد قرب وحضر وأن المدة قد انقضت ودنت، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يحثى على من التراب، فإذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون.

فقال بعضهم: لانريد أثرًا بعد عين.

وقال بعضهم: إنكم قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلاتعجزوا عنه.

وقال بعضهم: هو على أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى، فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه واغبر لونه لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه.

فقالوا بأجمعهم: ياخير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك، الويل لنا كيف ابتلينا بك فاعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فإنه القاضى الأكبر، والعادل الذى لايجور، فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة له ولهم قال كفيلة: أسألك بالله ياسعيد إلا مازودتنا من دعائك وكلامك فإنا لن نلقى مثلك أبدًا، فدعا لهم سعيد رضى الله

تعالى عنه، ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وأقبل على الصلاة والدعاء والاستعداد للموت ليلة كله وهم مختفون الليل كله.

فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير رضى الله عنه فقرع الباب، فقالوا صاحبكم ورب الكعبة، فنزلوا إليه فبكى وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به إلى الحجاج فدخل عليه الملتمس فسلم عليه وبشره بقدوم سيعد بن جبير، فلما مثل بين يديه قال له: ما اسمك ؟

قال سعيد بن جبير.

فقال: بل أنت شقى بن كسير

قال: بل أمى كانت أعلم باسمى منك

فقال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك

فقال سعيد: الغيب يعلمه غيرك

قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى

قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها..؟

قال: فما قولك فى محمد ﷺ ؟

قال: نبى الرحمة.

قال: فما قولك فى على أفى الجنة هو أم فى النار ؟

قال: لو دخلتهما وعرفت أهلها عرفت من فيهما.

قال: فما قولك في الخلفاء ؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: فأيهم أعجب إليك ؟

قال: أرضاهم لخالقه.

قال: فأيهم أرضى للخالق ؟

قال: علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم.

قال: فما بالك لاتضحك ؟

قال: أيضحك مخلوق من الطين والطين تأكله النار ؟

قال: فما بالنا نضحك ؟

قال: لم تستو القلوب.

قال: ثم إن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت وغير ذلك من الجواهر فوضعت بين يدى سعيد.

فقال سعيد رضى الله عنه: إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، لاخير فى شىء جمع للدنيا إلا ماطاب وزكا، ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فضربت بين يدى سعيد فبكى سعيد.

فقال الحجاج: ويلك ياسعيد.

فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

فقال: يا سعيد، أى قتله تريد أن أقتلك بها ؟

قال: اختر لنفسك ياحجاج فوالله لاتقتلنى قتله إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفوا عنك ؟

قال: إن كان العفو من الله فنعم وأما منك أنت فلا.

فقال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده.

فقال: ما أضحكك وقد بلغنى أن لك أربعين سنة لم تضحك ؟

قال: ضحكت عجبًا من جرأتك على الله ومن حلم الله عليك، فأمر بالنطع فبسط بى يديه وقال: اقتلوه.

فقال سعيد - كل نفس ذائقة الموت - ثم قال ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

قال: وجهوه لغير القبلة.

فقال سعيد: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[2].

فقال: كبوه لوجهه.

فقال: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[3].

فقال الحجاج: اذبحوه.

فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله مرارًا ثم قال اللهم لاتسلطه على أحد بعدى وذلك فى شعبان سنة خمس وتسعين، وكان عمر سعيد تسعًا وأربعين سنة وعاش الحجاج بعده خمس عشر ليلة ولم يسلط على قتل أحد بعده.

ولما بلغ الحسن البصرى رضى الله عنه قتل سعيد بن جبير قال: اللهم أنت على فاسق ثقيف رقيب ، والله لو أن أهل المشرق والمغرب اشتركوا فى قتله لكبهم الله تعالى فى النار، والله لقد مات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون لعلمه.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٧٩ (٢) سورة البقرة آية رقم ١١٥

(٣) سورة طه آية رقم ٥٥

أمير المؤمنين
ورجل من الرعية

روى أن معاوية - عندما تولى الخلافة - صعد المنبر يوم الجمعة فقال: أيها الناس إن المال مالنا والفيء فيئنا من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا..؟

فلما كان فى الجمعة الثانية قال كذلك، فلم يجبه أحد فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك. فقام إليه رجل فقال: كلا يا معاوية ، ألا إن المال مالنا والفيء فيئنا من حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا فنزل معاوية وأرسل إلى الرجل فأدخل عليه..؟؟

فقال القوم: هلك الرجل.

ثم فتح معاوية الأبواب فدخل عليه الناس فوجدوا الرجل معه على السرير.

فقال معاوية أيها الناس إن هذا الرجل أحيانى أحياه الله سمعت رسول الله - ﷺ يقول :

ستكون أئمــة من بعدى يقولون فــلا يرد عليهم يتقــاذفون فى النار كما يتقاذف القردة »

وأنى تكلمت أول جمــعة فلم يرد على أحد شــيئا « فخــشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت فى الجمــعة الثانية فلم يرد على أحد شــيئا » فقلت فى نفسى أنت من القوم. فتكلمت فى الجمــعة الثالثة فقام إلىَّ هذا الرجل فــرد علىَّ فأحــيانى أحــياه الله فــرجوت أن يخــرجنى الله منهم» .

رواه الطبرانى فى مــعجمه الكبيــر ورواه الحافظ أبو يعلى الموصلى ورجاله ثقات .

مواقف للعلماء
فى عالمنا المعاصر

فأمــا الموقف الأول فكان عندما زار السلطان التركى مــصر فى أيام إسماعيل باشا. وكان إسماعــيل مهتما بالزيارة، لأنها كانت جزءا من برنامــجه للحــصول على لقــب خديوى، مع امــتيــازات بنظام الحكم بمصــر. وكــان من برنامج الزيارة أن يستــقــبل السلطان العلمــاء فى السراى. ولما كانت للمقابلة السنية تقاليد، منها أن ينحنى الداخل إلى الأرض ويأخذ «تعظيــما تركــيا» ثلاث مرات، لهــذا كان حتــما على رجال السراى أن يــدربوا العلماء على طريقة المقابلة عــدة أيام حتى لا يخطئوا فى حضرة السلطان !

وعندمــا حان موعــد السادة العلمــاء الأجلاء، الذين نســوا دينهم واشتروا به دنياهم، وقد انــحنوا أمام السلطان الذى هو مخلوق مثلهم تلك الانحناءات، وأخذوا من الأرض الســلام إلى رؤوسهم، ثم منها إلى أفواههم، ثم منها إلى صدورهم. وخرجــوا موجهين ظهرهم إلى

الباب ووجههم إلى السلطان، كما أمرهم رجال التشريفات. . !

فلا عالما واحدا هو الشيخ حسن العدوى، ذكر دينه ونسى دنياه، واستحضر فى قلبه أنه لا عزة إلا الله . ولا خضوع إلا له فدخل مرفوع الرأس كما ينبغى أن يدخل المؤمنون بالله، وواجه الخليفة بتحية الإسلام «السلام عليكم يا أمير المؤمنين»

ثم ابتدره بالنصيحة التى ينبغى أن يتلقى بها العالم الحاكم. ودعاه إلى تقوى الله، والخوف من عذاب الله، والعدل بين رعاياه. . فلما انتهى وسلم وخرج مرفوع الرأس كما يخرج الرجال المؤمنون بالله! وأسقط فى يد الخديوى ورجال السراى، وظنوا الأمر كله انقلب عليهم، وأن السلطان لابد غاضب فضائعة تلك الجهود التى بذلوها، فذاهبة تلك الآمال التى تسجوها. . !

ولكن كملة الحق المؤمنة لا تذهب سدى، فلابد أن تصدع القلوب قوية حارة، كما انبعثت من مكمنها قوية حارة. وهكذا كان. فقال السلطان: ليس عندكم إلا هذا العالم وقدم له الهدايا دون سواه!

وأما الحدث الثانى فوقع فى «دار العلوم» بين الخديوى توفيق باشا والشيخ حسن الطويل. كان الرجل يلبس جلبابا وجبة غير مشقوقة، وهو أستاذ فى الدار. وفى يوم علم العميد أن الخديوى سيزور الدار، فأخذ أهبته، وزين الدار، وكان من بين الأهبة أن يغير الشيخ حسن الطويل زيه، ويستحضر له قفطانا وجبة مشقوقة، حتى يظهر فى زى الذى يليق أن يقابل به الحكام!

وسمع الشيخ طلب العميد فوافق بالإيماء، وفى الصباح حضر

الشيخ كما هو ومعه منديل «محلاوى» به حزمة ملابس. ولما رآه الناظر هكذا سيىء وجهه ، وقال والغضب والألم يبدوان: أين الجبة والقفطان يا سيدنا الشيخ؟ فأشار إلى المنديل وقال: هنا؟

وترك العميد يفهم أنه سيرتديهما عند قدوم الزائر العظيم! فاطمأن العميد إلى هذا التصرف الغريب ومر الوقت واهتزت أركان الدار بقدوم الزائر المرتقب.

وهنا كانت المفاجأة العظمى للعميد وللأساتذة وللجميع. تقدم الشيخ من الخديوى وبيده الحزمة وهو يقول فى بساطة وثقة واعتداد: قالوا لابد أن تحضر بالجبة والقفطان، فحضرت بالجبة والقفطان، فإن كنت تريد الجبة والقفطان فها هما، وإن كنت تريد «حسن الطويل» فهذا هو حسن الطويل! قال الخديوى طبعا يريد حسن الطويل!

هذه نفوس مؤمنة لا تعتز إلا بعزة الإسلام، وقد تحررت وجداناتها وضمائرها من كل القيم الزائفة، والاعتبارات الفانية. لقد فهمت الإسلام على حقيقته، واستشعرته فى صميمه، واستلهمت روحه القوية العالية ، فلم تعد فى حاجة إلى أن تذل. وهذا هو الإسلام الذى يأمر أتباعه بالقوة امتثالا لقوله :﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1].

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٨

ثبت بالمراجع

١ - القرآن الكريم
٢ - فتح البارى - شرح صحيح البخارى - لابن حجر العسقلانى .
٣ - صحيح الإمام مسلم - بشرح الإمام النووى .
٤ - دلائل النبوة - للإمام البيهقى .
٥ - تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر .
٦ - البداية والنهاية للحافظ ابن كثير .
٧ - الطبقات الكبرى - لابن سعد
٨ - تاريخ الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - لأبى جعفر محمد بن جرير
٩ - شرح نهج البلاغة - لابن أبى الحديد .
١٠ - مسند الإمام أحمد بن حنبل « الموسوعة الحديثة »
١١ - وفيات الأعيان لابن خلكان
١٢ - معركة المصحف للشيخ الأستاذ محمد الغزالى .
١٣ - حلية الأولياء لأبى نعيم
١٤ - المقدمة - لابن خلدون
١٥ - الخطط - لعلى مبارك
١٦ - ابن حزم الأندلس - للشيخ محمد أبو زهرة
١٧ - السياسة الشرعية - لابن تيمية الحرانى
١٨ - الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده
١٩ - تاريخ - الكامل لابن الأثير
٢٠ - الطريق إلى الله . د. عبد الرحمن عميرة
٢١ - الكون والحياة بين الدين والعلم د. عبد الرحمن عميرة
٢٢ - الأحكام السلطانية للإمام الماوردى تحقيق د. عبد الرحمن عميرة
٢٣ - رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا د. عبد الرحمن عميرة
٢٤ - طبقات الأولياء - لابن الملقن - تحقيق نور الدين شريبة
٢٥ - الأعلام - لخير الدين الزركلى .

فهرس الموضوعات